5 me Année, No217.

Lundi - 30 - 8 - 1937

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ٢١٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣٥٦ — ٣٠ اغسطس سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

الملك المـــوفق

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

منذ بضعة أسابيع أدى صاحب الجلالة الملك صلاة الجمعة في مسجد من مساجد الاسكندرية على عادته المحمودة ، فلما انتهت الصلاة نهض جلالته ، فهتف باسمه الناس ، فأشار إليهم جلالته بيده أن كفوا ، ومال على أحد العلماء وهمس في أذنه أن بيوت الله للعبادة لا لهذا ، ولذكر الخالق لا لذكر المخلوق .

وفي جمعة أخرى أمر واحداً من رجال حاشيته ، فأعطى الإمام عشرين جنيهاً لخدم المسجد ، فتناولها الإمام شاكراً ، داعياً ؛ وكان للمسجد خادمان فنقد كلا منهما عشرة ، واتصل الخبر بجلالة الملك ، وعلم أن الإمام حرم نفسه ، فدعاه إليه وكلمه في هذا ، فقال الرجل : إني خطيب وإمام لا خادم ، وقد أعطيت المال لأفرقه على الخدم ففعلت وأمضيت مشيئة مولاي . فسرت جلالته عفةُ الرجل وأمانته وتقواه وأجزل له الثواب .

ولجلالته عناية بأن يعرف على أي وجه تنفذ أوامره . حدث في منتصف أغسطس أن حضر جلالته حفلة تمصير شركة البواخر الخديوية ، فطاف بالباخرة « محمد علي الكبير » ولاحظ أن

الدخنة لونها أحمر ، فالتفت إلى عبود باشا وقال إنه يؤثر أن يكون لونها أخضر ، فقال عبود باشا : « حباً وكرامة ، سيكون ماشاء مولاى » فقال جلالته وهو يبتسم : « سأسأل عن الدخنة ولونها » .

ويذكر القراء أن وزير الأوقاف السابق وقف مرة في البرلمان يرد على سؤال عن الأزهر ورثاثة فرشه ، فكان مما قاله — وظهر أنه كذب — أن طلبة الأزهر يقطعون السجاجيد ويأخذون مايقتطعون منها لفرش مساكنهم . وقد هاج الأزهر وماج لهذا ، وكتب الشيخ الأكبر الأستاذ المراغى إلى وزير الأوقاف يومئذ يبين له أن الموظفين الذين أمدوه بهذه المزاعم كذبوا عليه وغشوه ، ويطلب منه أن يحقق مع المسئولين عن هذه الأكاذيب والتشنيعات ، ولكن الوزير طوي الأمر لسبب ما ، ولم يعن بالتحقيق الذى كان واجباً .

وكأنما عز على جلالة الملك أن يكون الأزهر بهذه الرثاثة ، وأن تضن عليه وزارة الأوقاف بالفرش اللائق ، وأن يقول وزيرها السابق ما قال فى طلبة هذا المعهد الاسلامي العالمي الذى لم يبق على عيده الألفى إلا القليل ، ولكن الحكمة والأناة شعار الملوك ، فقد سكت جلالته حتى خرج هذا الوزير من الوزارة ، وتولاها غيره ، ثم أمر بأن يفرش الأزهر بالسجاد على نفقة جلالته الخاصة ، وبأن يكون السجاد مصرياً من صنع مصريين . ولو أن جلالته أمر بذلك والوزير السابق قائم بالأمر فى الأوقاف ، لكان هذا بمثابة دعوة صريحة إلى الاستقالة ؛ ولكن جلالته تريث حتى لا تختلط الحسنة بالسيئة ، فليس همّ جلالته أن يؤنب وزيراً ، وإنما همه أن يصنع جميلاً وأن يسدى مكرمة . والأزهر معهد مهول ، وسيحتاج من السجاد إلى شئ كثير ، فأخلق بصناعة السجاد المصرية أن تنشط من جراء ذلك نشاطاً عظيما ، وجدير بالسجاد المصري أن ينفرد بالسوق بعد هذا فلا يتخذ مصرى سواه .

ولا يزال جلالة الملك فى صدر الشباب ، ومع ذلك آثر الزواج على العزوبة ؛ وله فى ذلك حكم لا حكمة ، فإنه ملك ، والملك قدوة لشعبه . والمثل يقول إن الناس يكونون على دين ملوكهم ، والزواج عفة وتقوى وحصانة . وقد وقع اختيار جلالته على مصرية من بيت كريم ، وفى هذا الاختيار معنى إنساني بارز ، ومظهر ديمقراطى لا يخفى ، فقد عرف جلالته الآنسة ذو الفقار ، وكانت تصحب الأسرة الملكية فى رحلتها فى أوربا ، فهو اختيار فيه كل المعانى الانسانية وليس فيه أى معنى سياسى . وحسناً صنع جلالته ، فما بقى للزواج السياسى أية فائدة أو قيمة فى هذا الزمان . وإن الأمة المصرية تشعر الآن أنها صارت أقرب إلى ملكها بهذا الاختيار الموفق الذى احتذى فيه جلالته حذو المنفور له والده العظيم . وقد كان مما تحرص عليه الأسر المالكة فى العصور الماضية أن تبقى بمعزل عن أممها ، فلا تخالطها ، ولا تصاهرها ، وقلما كانت تبادلها حتى الشعور ، فالآن تغير كل هذا ، وأدركت الأسر المالكة أنها لشعوبها وأن شعوبها لها ، وكان من خير ما صنع المغفور له الملك فؤاد وأوقعه فى نفوس الأمة أن آثر أن تكون جلالة الملكة من رعاياه . واليوم يقتاس به جلالة الملك فاروق فيختار الملكة من رعاياه كذلك ، فلا يبقى موضع فى قلوب الأمة غير مشغول به

وهكذا يمحو جلالة الفاروق الفوارق التى تباعد ما بين الملك وأمته اكتفاء بالولاء الصادق ، والاخلاص الصحيح ، والحب الثابت ، والاجلال العميق ، واستغناء بذلك عن كل ما عداه مما لا خير فيه ، ولا محل له في هذا العصر ، فإن الملوك من طينة الخلق جميعاً ، فلا معنى للحرص القديم على أن يظلوا طبقة مستقلة عن شعوبهم لا تمسها ولا تقربها ولا تتصل بها من ناحية من النواحى . وأخلق بالشعوب أن تكون أعمق ولاء وأصدق وفاء لملوكها إذا شعرت أنهم منها ، وأنهم يمثلون خير ما للأمة من المزايا والخصائص والصفات والطباع ؛ وأنهم رمزها الأعلى حقاً ، وعنوانها الأرفع صدقاً ، وأن الأمر في ذلك أمر حقائق واقعة ، لا أمر ألفاظ جوفاء وكلمات فارغة .

لقد ثبت العرش البريطانى على الرغم من زلازل الحرب العظمى وما تلاها ، لأن الشعب البريطانى يعرف أن العرش منه وله ، وأنه عنوان مجده ، وأنه الصلة الوثيقة بين أبعاض امبراطوريته وللعرش فى مصر أحق بالثبات والدوام على الزمن ، فقد قامت هذه الأسرة المجيدة باختيار الأمة لها ، وكان المصريون هم الذين ولوا محمد على باشا أمرهم ، وألقوا اليه بمقاليدهم ، وملكوه زمامهم ولم يخيب محمد على ظن مصر به ويقينها فيه ، فقد رفع مقامها وأعلى شأنها ، وجعل منها دولة محسودة مرهوبة الجانب ، مخوفة

لسطوة ؛ وحسبه فخراً أن احتاجت الدول العظمى إلى التألب عليه والائتمار به لحرمانه ما كان حقيقاً أن يفوز به من الثمرات .

لا شك أن مصر مدينة برقيها الحديث للخديو اسماعيل على الرغم من كل ما جر اليه حكمه ، وإن كان مؤرخو الغرب يبالغون فى ذلك ويهولون به ليستروا مؤامرات أوربا ومكائدها ، وما أوقعت به مصر بسوء نيتها وفساد طويتها . والمغفور له الملك فؤاد هو الذى أزخر تيار النهضة الحديثة وعرف كيف يذلل كل عقبة اعترضته فى الاحتلال وفى عدم الاستقرار . والآن يجىء جلالة الملك فاروق بفيض من الحيوية ، وبمثل حكمة الشيوخ المحنكين فى شبابه الغض ، وبقلب كبير ملؤه الحب لأمته ، وعزم صادق على الوثوب بها . ولَحسْبنا هذه الفواتح بشيراً بمستقبل سعيد فى ظل حكمه المديد المبارك إن شاء الله .

ابراهيم عبد القادر المازني

الليـــــل

للأستاذ أحمد أمين

في ليلة حالكة السواد بعدت عن ضوضاء المدينة إلى مكان قصيّ على شاطئ البحر أهرب بنفسي من جرائيم المدنية ووباء الحضارة ، وأغسلها من أدران التقاليد والمواضعات ، وأطهرها بالانغماس فى عالم اللانهاية : فى السماء والماء والجو الفسيح الذى لا يحده حد ولا ينتهى إلى غاية

غاب فيها القمر فلعبت النجوم ؛ ولو طلع لكسفها وهى أكبر منه حجما ، وأعظم قدراً ، وألمع ضوءاً ، ولكن دنيانا هذه يسود فيها التهويش حتى فى القمر والنجوم

كان سواد هذه الليلة أحب إلى نفسى من ضوء الشمس ونور القمر ، فللنفس حالات تنبسط فيها فيعجبها البحر المائج ، والوسط المائج ، واللون الأبيض والأحمر ، والنكتة اللاذعة ؛ وتنقبض فتأنس إلى الليل الساكن ، والوحدة المريحة ، والسكون العميق ، واللون القاتم

* * *

لك الله أيها الليل ! فما زلت بالفن حتى ملكته واحتويته ، فجعل يشيد بذكرك ويرفع من شأنك ؛ حتى لم تجعل لأخيك النهار نصيبا يقاس بنصيبك ، فاقتسمتما الزمان قسمة عادلة ، واقتسمتما الفن قسمة جائرة !

فالمغني يقصر مناداته عليك ، ولا يلتفت فى هتافه إلا إليك ؛ فإذا غنى بالليل نادى الليل ، وإذا غنى بالنهار لم يخجل فنادى الليل أيضاً ؛ والآلات كلها تتبعه فتردد على أوتارها ما ردده المغنى بكلماته . ثم كان اسمك على قلته وضؤولته أداة طيعة فى صوت المغنى يوقع عليه ما شاء من نغمات : مرحة وحزينة ، ومديدة وقصيرة ، وعالية وهادئة ، وباعثة للقوة واليأس والأمل ، وداعية إلى الضعف والخمول والكسل

وحتى المصور ؛ لماذا شغف برسم غروب الشمس أكثر مما شغف بطلوعها إلا لأن غروبها إيذان بقدومك وارتقاب لزورتك ؟

أما الأدب فله فيه الباع الطويل والقول الذى لا ينتهى . تداولت عليه الأدباء ، فنقموا عليه حينا ، وتدللوا له حينا ، من عهد الأستاذ امرئ القيس إذ يقول :

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مُغار الفتل شدت بيذبُل

إلى عهد الأستاذ محمد عبد الوهاب إذ يقول :

« بالله ياليل تجينا ، وتسبل ستارك علينا »

شكوا طوله وتفننوا فى ذلك ما شاءوا ، فتخيلوا أن نجومه شدت بالحبال ، وربطت فى الجبال ، أو أن النهار ضل طريقه فظل الليل لا يبرح ولا يتزحزح كالذى يقول بشار :

أضلّ النهارُ المستنيرُ طريقهُ أم الدهرُ ليلٌ كله ليس يبرح ؟

أو أن النجوم حارت لا تدرى أتتيامن أم تتياسر فوقفت فوقف الليل بجانبها كقول جرير :

أبُدِّلَ الليل لا تسرى كواكبهُ أم طال حتى حسبت النجم حيرانا ؟

وشكوا قصره فأبدعوا فى ذلك أيما إبداع ، فشبهوه بعارض البرق كالذى يقول :

يارب ليل سرور خلته قِصَرا كعارض البرق فى أفق الدجى برقا

قد كادَ يعثرُ أولاهُ بآخرهِ وكاد يَسْبقُ منه فجرُه الشفقا

وأنكروا من قصره وجوده فقالوا :

وليلة من الليالى الغر لم تك غير شفق وفجر

كان هؤلاء الذين يشكون طوله ويشكون قصره يتحدثون بعواطفهم ، ويترجمون عن مشاعرهم ، فجاء قوم على أثرهم يتحدثون بعقولهم ، فقال الفرزدق :

يقولون طال الليلُ والليلُ لم يَطُلْ
ولكنَّ من يبكي من الشوقِ يَسْهَرُ

وقال ابن بسام :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدّعي أن نجومَ الليلِ ليست تغور
ليلي كما شاءت فإن لم تَجُد طال ، وإن جادت فليلي قصير

* * *

أيها الليل ! كم لففت ثوبك على متناقضات : حزن على ميت ، وسرور لميلاد ، ومحب مهجور يشكو طولك ، ومحب واصل يشكو قصرك ، وعابد متهجد يناجي ربه ، وداعر فاجر يبني حظه ، ودمعة حرى تسبلها أم ولْهَى بجانب سرير مريض ، وضحكة صارخة تخرج من فم سكير عربيد ، ومجلس أنس تتجاوب فيه الأقداح والأوتار ، ويلبس فيه الليل ثوب النهار ، بين بدور ، وكاسات تدور ، كأنه مسرح صغير تمثل فيه الجنة بصنوف نعيمها ، أو معرض تعرض فيه الملاهي بشتى ألوانها ، ومجلس بؤس تتجاوب فيه الزفرات والحسرات ، وتتساقط فيه النفوس ، قد شرقوا فيه بدموعهم ، وتلظى الهم في ضلوعهم ، فهم بين كاسف بال ، وساهم طرف ، ومنقبض صدر ، ولهيف قلب

* * *

يترقبك السارق ليحتمي بسوادك في سرقته ، والعاشق ليفر في سكونك بعشيقته ، والناسك ليبتهل إلى الله في صلواته ، ويتحد معه في مناجاته ، والشاعر لينظم شجونه في قصيدته ، والملحن ليوقع لحنه على قيثارته ، والسياسي ليدبر مؤامراته ، والعالم ليفكر في نظرياته

* * *

ولكن لماذا استأثرت بكل هذا والنهار قسيمك في الخدمات وعديلك في الحياة ؟ بل هو أشد منك حياة وأكثر قوة ، فسلطانه الشمس وسلطانك القمر ، وسلاحه الضوء وسلاحك الظلام ، وشعاره البياض وشعارك السواد ؟ وهو مبصر وأنت أعمى ، وطبيعته الحركة وطبيعتك السكون ؛ وهو يدعو إلى النشاط والعمل وأنت تدعو إلى الخمول والكسل ، ولكن شاء الله أن يمن على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ، فجعل من قوة النهار ضعفاً ومن ضعفك قوة

انتهزت فرصة السكون الذي منحك الله فجعلت منه حركة دونها حركة النهار ، فحركته حركة جسم وآلات ، وحركتك حركة عواطف وانفعالات ، وشتان ما بينهما ! لقد أطاق الناس مصائبه ولم يطيقوا مصائبك ، فقال الشاعر :

وحُمِّلْتُ زَفْرات الضحى فأطقتها
ومالي بزفرات العشى يدان

واستمنت سلطان الحب فجعلته من أعوانك ، وأسرت العواطف فاتخذتها من خدامك ، فلما اجتمع لك الحب والعواطف نازلت بها الزمان ، وغلبت بها كل سلطان ؛ فالوصل لا يلذ إلا في ظلك ، والهجر لا يلذع إلا في كنفك ، والسرور لا يشع إلا في حضرتك ، والألم لا يضني إلا في هدءتك

من تعب في النهار وجد فيك راحته ، ومن أتعبته الحركة نعم فيك بسكونه ، ولكن من تعب فيك لم يجد في النهار عوضاً عنك ، ولم يرض به بديلا منك

* * *

جالت هذه المعاني في فكري ، وامتلأت بعظم الليل نفسي ، فمنّ عليّ بنومة لذيذة ، هادئة عميقة ، فقابل جميل ثنائي بجميل صنعه ، وأدى فريضة شكري بجزيل فضله

(سيدي بشر) احمد أمين

المحاكمات التاريخية الكبرى

٢ ـ الحركة النهلستية
ومصرع القيصر اسكندر الثانى

صفحة رائعة من صحف الثورة على الطغيان

للأستاذ محمد عبد الله عنان

اعتزم القيصر شهود حفلة الاستعراض العسكرية فى ميدان يخايلوفسكى كما قدمنا، وقام البوليس باتخاذ الاجراءات المتادة محافظة على سلامة القيصر فزار الشوارع التى يمر بها الركب لكي ؛ وكان ثمة فى شارع « مالايا سادوفيا » حانوت لبان تح هنالك منذ ثلاثة أشهر يديره شخص يدعى كوبوزيف زوجه ؛ وكان البوليس يشتبه فى أمر هذا الحانوت وأمر صاحبه، اره فى عصر يوم السبت بحجة التفتيش الصحى فلم يجد فيه ريب ؛ ولم يكن كوبوزيف فى الواقع سوى عضو من أعضاء جنة التنفيذية وضعته اللجنة هنالك ليكون عوناً لها على التنفيذ.

واعتزمت اللجنة الثورية من جانبها أن تنتهز هذه الفرصة فيذ قرارها باغتيال القيصر فغادرت بيروفسكايا مسكنها وذهب ايف إلى حانوت كوبوزيف ليضع لغما قوياً تحت شارع ماليا سادوفيا » وأنفق كبالتشتش وهو عضو اللجنة المتخصص صنع القنابل طول الليل فى منزل فيرا فنجر مع جراتشفكي يروفسكايا، ولم يأت الصباح حتى تم صنع قنابل أربعاً حملها كبالتشتش وبيروفسكايا. وفى صباح يوم الأحد أول مارس عت صوفيا القنابل الأربع على أربعة من الشبان الفدائيين جرنفتسكى واملیانوف وميخايلوف وريسا كوف وعمره تسعة ر عاماً فقط ؛ وتفرق الأربعة فى نقط أربع عينت فى خريطة نفيذ حول منعطف نفسكى والطرق المفضية إليه. وفى الساعة انيـة بعد الظهر كان كل فى مكانه المعين ينتظر إشارة صوفيا قفت صوفيا مدى حين ترقب ميدان الاستعراض عن بعد. سكنها مالبثت أن علمت أن الركب الملكى لن يمر بالشارع الذى ضع فيه اللغم، فسارت عندئذ صوب منعطف نفسكى فى اتجاه جرنفتسكي وأخرجت منديلها، ففطن الفتيان إلى إشارتها وساروا تباعاً صوب قناة سانت كاترين لمقابلة الركب الملكى، واستولى الفزع على أحدهم وهو ميخايلوف فانسل واختفى فى آخر لحظة، وبقي الثلاثة الأخرون يرقبون الانذار الأخير.

وذهب القيصر إلى ميدان الاستعراض نحو الظهر. ولما انتهى الاستعراض ذهب إلى قصر ميخايلوفسكى القريب حيث تناول طعام الغداء مع الجراندوقة كاترين ميخايلوفنا ؛ وفى الساعة الثانية وبضع دقائق انتظم الركب الملكى للعودة، وأمر القيصر سائق مركبته أن يعود إلى قصر الشتاء من نفس الطريق. وكان يحرس العربة الملكية ستة من الفرسان القوزاق وتتبعها عربة أخرى يقف فيها مدير البوليس، ثم ثالثة بها ضباط الحاشية. وسار الركب مسرعاً فى شارع انجنرنايا، مجتنباً بذلك شارع ماليا سادوفيا (الذى وضع به اللغم) ثم اتجه يميناً إلى جسر قناة القديسة كاترين ؛ وكان المكان قفراً ليس فيه غير رجال الشرطة والمخبرين الذين ينتشرون على طول الطريق وسوى قليل من المارة.

بيد أن الركب ما كاد يقترب من جسر القناة حتى دوى انفجار هائل وانعقدت فوق الموكب سحابة من الدخان الكثيف، وكانت هذه قنبلة ريسا كوف انفجرت وراء العربة فأتلفت مؤخرتها ؛ وفى الحال أوقف السائق العربة ونزل القيصر منها سالماً وكان قد سقط على مقربة منها قوزاقي وثلاثة من الشرطة وغلام من المارة مصابين بجراح بالغة. وقاد رجال الشرطة صوب القيصر فتى عريض المحيا غائر العينين هو ريسا كوف، فسأل القيصر: أهو الفاعل ؟ وفى تلك اللحظة سأل أحد كبار الضباط: « هل جرح صاحب الجلالة ؟ » فأجاب القيصر: « شكراً لله فانى سليم معافى » وهنا قال ريسا كوف: « لا تعجل بشكر الله » وسار القيصر ومن حوله الحاشية إلى مكان الانفجار ليرى الجرحى ولكنه ما كاد يسير بضع خطوات حتى دوى انفجار آخر وانكشف الغبار والدخان عن منظر مروع:

سقط القيصر صريعاً وقد كسر ساقاه، وبقر بطنه، واحترق وجهه، ومن حوله عدة من الجرحى. وفى الحال حمل القيصر مضرجاً بدمائه إلى قصر الشتاء، ولكنه زهق بعد ذلك بقليل دون أن يعود إلى رشاده أو يفوه ببنت شفة.

وعثر رجال البوليس بين الجرحى على الفتى الذى ألقى القنبلة

الثانية ، وكان فى دور النزع وتوفى بعد ساعات قلائل دون أن يبوح باسمه للمحقق . ولكن البوليس وقف على اسمه بعد ذلك وقد كان أجناتوس جرنفتسكى الثورى البولونى وأحد الفدائيين الأربعة . أما الرابع وهو أمليانوف فقد اختلط بالناس واستطاع الفرار

واعترف ريساكوف بالقاء القنبلة الأولى ، وشرح للمحقق سيرته فذكر أنه طالب بمدرسة المناجم وعضو فى حزب « إرادة الشعب » ، وأنه يشتغل ببث الدعوة الثورية بين العمال وقدم بعض تفاصيل عن المؤامرة وتدبيرها ولكنه لم يُعرِّف عن أحد من زملائه . وفى ساعة متأخرة من الليل واجهه المحقق بجليابوف ، فحياه جليابوف بحرارة ؛ ولما علم بمقتل القيصر أبدى ابتهاجه ، وقال إنه وإن لم يشترك بنفسه فى تنفيذ الحادث بسبب اعتقاله فانه يشترك فيه بكل قلبه ، وإنه اشترك فى عدة محاولات سابقة لاغتيال القيصر ، ولم يمنعه من الاشتراك فى قتله سوى مصادفة سخيفة ، ولذلك فهو يطلب أن يحاكم مع ريساكوف وسوف يدلى للمحقق بكل ما يثبت مسئوليته .

ولم يمض يوم آخر حتى استطاع البوليس أن يظفر بآثار المرهبين . وفى مساء نفس اليوم هاجم مركزهم فى شارع تالينايا فانتحر صاحب الدار وهو ثوري يدعى سابلين قبل دخول البوليس وقبض البوليس على صاحبته المدعوة جسيا هلفمان وضبط لديها بعض القنابل . وقبض فى صباح اليوم التالى على ميخايلوف ، ولاحظ البوليس فى الوقت نفسه أن حانوت اللبان فى شارع مالاياسادوفيا قد أغلق واختفى صاحباه ففتش الحانوت مرة أخرى فاكتشف فيه سرداباً خفياً يصل حتى منتصف الشارع وقد وضع فيه لغم ثبت بسلك رفيع إلى آلة كهربائية ؛ وفى يوم ١٠ مارس استطاع البوليس أن يقبض على صوفيا بيروفسكايا وكانت لاتزال مختفية فى العاصمة ترقب الحوادث ، فاعترفت فى الحال باشتراكها فى مقتل القيصر واشتراكها فى حادث القطار الملكى .

وهكذا استطاعت الشرطة أن تضع يدها على جميع الجناة ولم يفلت من يدها سوى امليانوف الذى اختفى عقب الحادث ولم يعثر أحد عليه .

— ٣ —

وفى نفس اليوم الذى قبض فيه على صوفيا بيروفسكايا أعنى فى يوم ١٠ مارس ١٨٨١ وجهت اللجنة التنفيذية لحزب إرادة الشعب إلى القيصر الجديد — اسكندر الثالث — كتاباً ضافياً تستهله بالاعتذار عن مخاطبته فى تلك الآونة الدقيقة « إذ يوجد ما هو أسمى من أية عاطفة بشرية وهو الواجب نحو الوطن ثم تقول فيه :

« إن المأساة الدموية التى وقعت على جسر ترعة سانت كاترين لم تكن حادثاً غامضاً غير متوقع ، بل كانت بعد كل ما حدث فى الأعوام العشرة الأخيرة قضاء محتوماً ، وهذا ما يجب أن يفهمه الرجل الذى ألقى إليه القدر مقاليد الحكم . ولقد نمت الحركة الثورية واشتد ساعدها بالرغم مما اتخذ من إجراءات القمع الذريع ، وبالرغم من أن حكومة القيصر الراحل قد ضحت حريات كل الطبقات ومصالحها ولم تدخر وسعاً فى ازهاق المجرم والبرئ وفي تعمير السجون النائية بالمعتقلين . ولقد شنق عشرات ممن يسمونهم بالمحرضين فاتوا فى هدوء الشهداء . ولم تقف الحركة الثورية بل استمرت قوتها فى ازدياد . أجل يا مولاى إن الحركة الثورية لا تتوقف على إرادة الفرد ، بل هى عملية تقوم بها الاداة القومية ولن تنجح المشانق التى تقام لصفوة قادة هذه الحركة فى انقاذ النظام السياسى المحكوم عليه ، كما أن صلب المسيح لم ينجح فى إنقاذ العالم القديم الفاسد من ظفر النصرانية المصلحة

« ونحن أول من يعرف كم يحزن ويؤسى أن تبدد هذه المواهب والعزائم كلها فى أعمال التخريب ، فهذه القوى يمكن فى ظروف أخرى أن تستخدم فى عمل الانتاج : في تربية الشعب وفى تثقيفه ، وفى زيادة رفاهته وتحسين نظمه ؛ فلماذا إذن نلجأ إلى خوض هذا النضال الدموي ؟

« لأنه لا توجد لدينا يا مولاى حكومة بمعنى الكلمة وواجب الحكومة هو أن تعبر عن أمانى الشعب وأن تمثل إرادته ولكن الحكومة عندنا قد انحطت إلى عصابة قصر ، وغدت أحرى من اللجنة التنفيذية بأن توصف بعصابة من الغاصبين »

وتستعرض اللجنة بعد ذلك مثالب الحكم القيصرى وإمعانه فى استعباد الشعب وتسخيره ، وما جلبته هذه السياسة على روسيا من الخراب والبؤس وما ترتب عليها من فقدان الحكومة لكل نفوذ معنوى . وهذا هو السبب فى اضطرام الحركة الثورية ، وهذا هو السبب في ابتهاج الشعب لازهاق القيصر ثم تقول :

« ولا مخرج لهذه الحالة سوى أمرين : فاما الثورة المحتومة التى لا يمكن أن يمنعها أى قمع ، وإما التوجه إلى سلطة الأمة

العليا . وإن اللجنة التنفيذية لتنصح إلى جلالتك باتباع الطريق الثانى ، ففي ذلك خير أمتنا وبه تجتنب المصائب المروعة التى تحملها الثورات . وثق بأنه متى عدلت السلطة العليا عن اتباع الهوى وقررت أن تستلهم فى عملها رغبات الأمة ففي وسعك أن تطرد الجواسيس الذين يلوثون الحكومة ، وأن ترد حرسك إلى ثكناته ، وأن تهد المشانق ؛ وسوف توقف اللجنة التنفيذية أعمالها وتنفض القوى التى حولها لكى تعنى بالعمل الثقافى لخير الشعب ... ونحن نؤمل ألا تطغى لديك عاطفة السخط الشخصى على الشعور بالواجب ، والرغبة فى تعرف الحقيقة ؛ فنحن يحق لنا أن نشعر بالسخط أيضا ؛ وإذا كنت قد فقدت أباك فقد فقدنا نحن أخوة ونساء وبنين وأصدقاء أعزاء ؛ ولكننا على أهبة لأن نخمد مشاعرنا الشخصية إذا اقتضى ذلك خير روسيا ، وننتظر منك أن تفعل مثلنا »

« إن الشروط التى يجب تحقيقها لكى تترك الحركة الثورية المجال للعمل السلمى قد عينها التاريخ لا نحن . وإنا لنذكرك بها فقط فهى :

أولا — العفو العام عن الجرائم السياسية فهذه لم تكن جرائم ، بل هى أعمال عليها الواجب الوطني

ثانياً — استدعاء ممثلى الأمة الروسية لتعديل مناهج الحياة الاجتماعية والسياسية الحاضرة وصوغها وفقا لرغبات الشعب

ثم تشير اللجنة إلى الشروط التى يجب توافرها فى الانتخاب الحر ووجوب إطلاق حرية الصحافة والرأى والاجتماع وتختم خطابها إلى القيصر بما يأتى :

« هذه هى الوسيلة الوحيدة لتوجيه روسيا إلى طريق التطور السلمى والنظامى ، وإنا لنعلن خاشعين أمام الوطن وأمام العالم أجمع أن حزبنا سيخضع من جانبه لقرار الجمعية الوطنية التى تنتخب طبقاً للشروط المذكورة ، ولن يقوم بأي عمل عنيف لمعارضة الحكومة التى تستند إلى ثقة الجمعية الوطنية »

« والآن فقرر لنفسك يا مولاى . أمامك طريقان ولك الخيار . وإنا لا يسعنا إلا أن نرجو القدر أن يلهمك عقلك وضميرك الحل الوحيد الذى يقتضيه خير روسيا وتقتضيه كرامتك الشخصية وواجباتك أمام الوطن — ١٠ مارس سنة ١٨٨١ »

« للبحث بقية — النقل ممنوع » **محمد عبد الله عنان**

بمناسبة الذكرى

فى حضرة سعد

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

لما قصدت القاهرة سنة (١٣٤٣) لأقول (كلمتي فى اللغة العربية) تقدم سعد (رضى الله عنه) إلى الأستاذ الكبير حافظ بك عوض بأن يلاقيني ويقول لى : (إن سعداً يحب أن يراني فهل أحب أن أراه ؟ !) فلما قيل لى ذلك قلت : يا شيخ ، قل : يأمر ، إنما هو الآمر المطاع . وهل أنا في هذا البلد إلا فى حمى عمرو بن العاص وحماه ؟ ثم يممنا فى اليوم الثانى ذاك العرين : بيت الأمة ، وعرجنا إلى عليّة فيه ، وكان الزعيم يومئذ موعوكا

فإن تك قد نالتك أطراف وعكة ... فلا عجب أن يوعك الأسد الورد (١)

وطلع علينا سعد ومشى إلينا فسارعنا إليه

فلم أر قبلى من مشى البحر نحوه ... ولا رجلا قامت تعانقه الأسد (٢)

ومكثت والأستاذ حافظ عوض فى تلك الحضرة ذات الجلال وذات الهيبة حيناً ، وكانت أحاديث جمة أروى منها حديثين : ذكر الزعيم سعد جمال الدين الأفغانى (رضى الله عنهما) وأياديه البيض في هذه اليقظة العربية الأدبية ، وأفاض فى هذا المعنى ، فقلت : يا مولاى ، إنه لم ينتبه من أمم الشرق فى ذاك الوقت إلا أمتان لا ثالثة معهما : الأمة اليابانية وجمال الدين . فابتهج البطل الخالد بهذا القول فى بطل مثله ، وقال : حقاً إن جمال الدين أمة وحده . ثم قلت له قبل توديعه : يا مولاي ، من دأب الطبيعة عند ارتقاء أمة أن تلخصها فى رجل ، ومصر لم تبرح تتقدم وتعلو منذ حين طويل ، وقد لخصها الله فى سعد . فأجاب جواب الأبطال العظماء المتواضعين ، وهل يكون العظيم إلا متواضعاً ؟ وهل يستعير رداء الكبر يلبسه إلا الصغير ؟ ثم قبلنا تلك اليد الطاهرة المباركة مودعين . ولما عدت إلى مصر سنة (١٣٤٦) ، وكان أمر الله وقضاؤه ذهبت إلى (القبر) وسلمت على صاحبه

طافت الكاس بساقى أمة ... من رحيق الوطنيات سقاها
عطلت آذانها من وتر ... ساحر رنَّ مليًّا فشجاها (٣)

وقرأت فاتحة (الكتاب) لقائدين من قواد محمد : عمرو ابن العاص ، وسعد زغلول

النشاشيبي

(١) أبو تمام (٢) المتنبي (٣) شوقي

رابطة النقد بالأثر الأدبي

وأهداف النقد

للأستاذ خليل هنداوي

نص المحاضرة التي ألقيت في حمص بروضة البلدية في ١٧ يوليه على جمع غفير من هواة الادب . وكانت حفلة زاهية دلت على إقبال شديد على حوض الادب . وقد تخللها قصائد ومقطوعات لشعراء حمص الشباب جددت عهد ديك الجن الحمصي ، وقد أطرب الزائرين عزف نادي (دوحة الميماس) ولا عجب في تعانق الادب والفن في مثل هذه الحفلة ، فانهما عنصران يتمم أحدهما الآخر . وهكذا سادت الجو روح وثابة منعمة بالخواطر الرفيعة والشعر الجميل . وفي هذا الجو العالي ألقيت هذه الكلمة ...

(خ . ه)

كنت أود أن أزوركم خفيفاً لا مثقلا ، أمتع العين ببهجة مدينتكم ولا أجهد عقلي وعقولكم . كنت أود أن آتيكم زائراً لا محاضراً حتى أرى ألوانكم الطبيعية وتروا لوني الطبيعي . ولكن الأخ الأستاذ محمد روحي فيصل ألح علي في أن تكون الزيارة للمحاضرة ، ولكنه روعني كثيراً وكاد يدخل الجزع في نفسي لأنه وصفكم لي وصفاً يبعث على الخوف . قال لي : إنك ستنزل في قوم يدرسون آثار الأديب ويحصون عليه خطراته ، ويمعنون فيها تحليلا وتعليلا . بل سترى فئة عرفت آثارك وتعرف أفكارك ما تجانس منها وما تنافر . لأنهم قوم يقرأون ويدرسون ويحللون ويناقشون. فقلت له : ما دام الأمر هكذا فدعهم على الأقل يتناولوني وأنا بعيد عنهم ، ويسلقوني بألسنتهم الحداد من حيث لا تشوي نارهم جسدي ، ولا تبلغ مديتهم ودجيّ . أتريد أن تسلمني إليهم يداً بيد؟ ولكن ما دواعي هذا الجزع ؟ ولم أخشى الفئة الناقشة ؟ ألسنا ندعو إلى أدب عميق يستمد من ثقافة عميقة ؟ ألسنا نحرره من الدجالين ونغزوه غزواً مستمراً بالفكر حتى يغدو أدب الحياة وأدب الحقيقة ؟ وكيف أخشى قوماً هذا عملهم ؟ وإنما الأجدر بي أن أكون واحداً منهم فيما يعملون . والأجدر بي أن أشكر هؤلاء القوم لأنهم مراقبون — لا بمعنى لجان المراقبات والحياد السياسي — ولكن بمعنى المراقبة الحقيقية التي تجعلنا نتحقق إذا كتبنا ، ونتأنى إذا فكرنا ، وإذا كان هدفنا من الأدب هذا الهدف فلمن ننشد هذا الأدب ؟ ألشباب لا يقرأون أم لشباب يقرأون ولا يفكرون ؟

يظن الصديق الكريم أنه روعني وفي الحقيقة شجعني . إذ الخير لي أن أعطي فكرة تُناقش وترد لي محطمة من أن أعطي فكرة تفنى بين عميان يقدسونها ولا يمحصونها !

هذه ظاهرة حسنة من ظواهر أدبنا تدل على الاتجاه الثقافي الذي اتجه إليه أدبنا في العهد الجديد . وقد كنا في عهد إذا وجد الأديب لم يوجد القارئ ، وإذا وجد القارئ لم يوجد الأديب ، وقد بدأنا بعهد يستطيع الاثنان فيه أن يوجدا !

ها قد جئت ولا أدري ما يكون نصيبي بعد ما سكن روعي . ولكنني أرجو أن يكون حظي في هذه المدينة حظ ذلك المكان المسحور الذي شاع عنه أنه لا يبيت فيه بائت ليلة إلا لقي حتفه حتى جاءه رجل يريد الموت ، وما أشد عجب الناس حين وجدوه حياً ، لأنه بإرادته الموت عاش . وهكذا أرجو أن أفك هذه الطلاسم لأني أريد أن أراكم غير مطلسمين . وأريد أن تروني غير مطلسم !

وعلى ذكر النقد وشيوع النظرة النقدية عندكم آثرت أن تكون كلمتي — بينكم — حول النقد ورابطة النقد بالأثر الأدبي .

تدركون جيداً المرحلة التي فصلت بين انحطاط أدبنا الأخير وبين تباشير النهضة الأدبية الحديثة ، وتدركون أن آفاقاً كثيرة تفتحت ، وأن اضطرابات فكرية هزت عالمنا الجامد ، وتدركون أن النقاد يرجعون هذه البوادر إلى مدرسة الأدب الغربي التي هي أعمق وأكثر ألواناً وصوراً وأكثر درساً للحياة واكتمالاً من الناحية الفنية . على أن للأدب الغربي — في أدبنا — جوانب أبرز من جوانب ، والجانب الأكثر بروزاً في نظري هو جانب النقد الذي يسرني أنكم غلبتموه — فيكم — على كل شيء . فنظريات النقد التي شاعت في أدبنا يعود لها الفضل في هذا التقدم . والنقد كما يفهم الأدباء ظاهرة يخلفها الأثر الأدبي ، إذ لا نقد إلا بعد الأدب . ولكنني أريد أن أفهم اليوم هذه النظرية معكوسة عندنا لأنا بدأنا بالنقد قبل أن نبدأ بالأدب . ولأن الأدب الغربي الذي خلق لنا أجواء نقد ، وأعطانا مقاييس نقد صحيحة ، لم يفتح عندنا أجواء إنتاج بعد !

تقلبت مدارس النقد في الأدب الغربي كثيراً تقلب الأدب نفسه ، والنقد فيه كان مصاحباً للأدب . وليس للنقد حدود واضحة ؛ ففيه نزوع إلى الجمال ونشدان الحقيقة وتسجيل التاريخ الأدبي . وقد قسم الكاتب الفرنسي (ڤان تيجام) ثقافة الأدب في كتابه « الأدب بالمقارنة » إلى ثلاث مراحل : الأولى المطالعة بلذة ؛ والثانية المطالعة بنقد ؛ والثالثة تاريخ الأدب . ولكن هذه النتيجة الملائمة للمنطق تأتي مشوشة ، فهو لم يوضح عمل النقد ، ولكن يبدو له أن عمل النقد شيء ذاتي ولا يمكنه أن يكون تاريخياً . أما تاريخ الأدب فهو يريد به دراسة قوية حقيقية للآثار الأدبية وما تحتويه وما تتجه اليه وما تكن من فن وثروة . على أن هذا هو ما ينشده النقد ويزع اليه ما استطاع

سأل الأستاذ (روزو) في مجلته « الآداب الحديثة » الأدباء : « إلى أين يذهب النقد ؟ » فأجاب الأستاذ (لانسون) محدداً علاقات النقد وتاريخ الأدب : « قد تمكن كتابة تاريخ الأدب بدون نقد ، ولا تمكن كتابة النقد بدون تاريخ الأدب . فاذا أردت مثلاً أن تدرس المدرسة الشعرية الرمزية ، فأنت مضطر إلى أن تصعد إلى أعلى وأن تسبق هذه الحركة وتطلع على ما هيأها »

ويقول (ادمون جالو) : « إن النقد لا يستطيع أن يتفوق على تاريخ الأدب ؛ ومن العسير أن نحكم على رجل نجهل حياته . وأظن أن القلق في أحكامنا التي نصدرها على معاصرينا إنما يأتي من هذه الناحية » على أن الناقد وإن لم يكتب التاريخ فهو يهيئ عناصره ومواده ، وكثيرون من الناقدين يهيئون الأماكن المقبلة للآثار الحاضرة

وقد تطورت مهنة النقد في العصور كثيراً . فلقد كان في في عصرنا قاضياً يميز الكتاب الجيد من الكتاب الردئ ، والأثر الرائع من الأثر السخيف . ولكن في هذا الحكم ما فيه من الجور لأنه يضع الحكم على الآثار في أيد ليست منها على شيء ! ثم أصبح الناقد معلماً يوضح الطريق الواجب اتباعها ، ولكن هذه المهنة زالت أيضا وأصبح هم الناقد غير هم المعلم . وفي هذا المعنى يقول النقادة (سانت بوف) : إن مهمتي كأستاذ أن أوقظ قبل كل شيء مسالك الذوق بواسطة التحليل والتحديث . أما الناقد فله واجبات أخرى الناقد يعطي أحكامه بسكون وعلازمة نفسه ! »

وقد أعلن (لاسير) أن للنقد رسالة سامية لا تقف عند تحليل المؤلفين ، وإنما همه أن يؤثر في الجماعات ، ومثله الأعلى أن يعد شعباً حر النزعة ، مفتوح آفاق العقل ، صافي العاطفة ، لكي يأتي الشعراء والمبدعون من بعده ويجدوا من يفهمونهم ويعشون معهم ويسمعون إلى ألحانهم. ولعل هذه النظرية تلائم نظرية الشاعر (ستيفان مالارمي) في أن الشاعر يجب ألاَّ يتلوه إلا شاعر ، أو قارئ يستطيع أن يسمو معه في لحظة ما ويتحد معه اتحاداً شعرياً . وهذا أهم ما في رسالة النقد لأن عبقريات كثيرة — بغير النقد — تنطفئ لأنها لا ترى طريق اتصالها بالجماعات

ويرى (ماسي) أن النقد يعمل كمعلم ... « إننا نفتقر إلى معلمين ولا نطلب إلى النقد أن يعجبنا ... لا شيء أصعب اليوم ولا أعسر من وضع نظام وترتيب في الآثار الأدبية والفنية . وإزاء هذه الميول والأهواء المتباينة يجب أن يكون الواجب الأول للأدب أن يرينا أين نحن ؟ ومن نحن ؟ وأن يفصل بين العبقريات . وبعبارة أجلى أن يكون حارساً أميناً »

ونحن مهما تجردنا من هذا النقد المعلم فمن المحال أن نتجرد منه تجرداً تاماً ، لأن من طبيعة الحال أن يقبل الناس على الناقد ويروا فيه « المطلع الحاكم » الذي يصحح بجرأته بعض الأخطاء الكبيرة . ويمكن القول بأن تقدير الآثار على رغم بعض الخطأ في هذا التقدير قد يكون ضرورياً في مجتمعنا الحاضر ...

وبعض النقاد يعملون على أن يتجردوا ويتركوا الحكم للقارئ نفسه . وذلك بأن يفتحوا له طريقاً يسلكها ويكتشفها لنفسه ... ولكن هؤلاء مهما تجردوا — يحملون شيئاً من أنفسهم دخل في بضاعتهم من حيث لا يشعرون .

أما مدارس النقد التي قامت وتقوضت ثم قام غيرها ويقوم غيرها فهي أكثر من أن تحصى ، ولكل فوائدها واكتشافاتها . فقد نشأ النقد نشأة ضيقة منذ نشأ . كان يرى أن الشيء الجميل له قواعد معينة معروفة ولا يكون بدونها جميلا . وهذا نقد مجرد ينصر الفكرة المجردة ، ولكنه يهدم بنقد آخر لا يؤمن بالتجرد ، بل يرى أن الجميل لا يكون مجرداً ، وإنما هو كغيره له علاقات تربطه بغيره . وقد شاعت هذه النظرية كثيراً حتى نشأ عنها (النقد بالمقارنة والموازنة بين الأشكال الجميلة والآثار الأدبية في الشعوب

المختلفة ثقافتها) وهذا النقد قد وسع آفاق النقد إلى ما لا حد له . ويعجبني في هذا المعرض سلسلة المقالات التي تنشرها مجلة الرسالة الغراء «بين الأدبين العربي والانجليزي» للأستاذ فخري أبو السعود . ولعلها تكون فاتحة سلاسل للمقارنة بين الأدب العربي والآداب الشرقية الأخرى التي اتصل بها أدبنا وتأثرت به وتأثر بها كالأدب الفارسي مثلا الذي لا تزال علاقاته مع أدبنا تكاد تكون مجهولة .

أجل ! قد ولى عهد كان يرى أن الانسان مملكة إلى قلب مملكة ، وجاء عهد يرى أصحابه أن الانسان شيء من أشياء هذه المملكة ، يؤثر فيها ويتأثر بها بمقدار... وقد أوحت هذه النظرية للنقادة الفرنسي (تين) نظرية تحليل الأثر الأدبي بعوامل الجنس والبيئة والزمن ... ونظرية التطور أوحت (لبرونتيير) أن يعتبر الأنواع الأدبية كائنات حية تتطور ويولد بعضها من بعض . وقد شاعت نظرية جديدة تقول إن الأثر الأدبي لا تكمل صفاته إلا بدرس صاحبه . لأن المؤلف إنما يصف نفسه ويمنح أشخاصه كثيراً من شخصيته . على أن الأثر الأدبي يخضع من وجوه كثيرة لضرورات كثيرة وظروف كثيرة . ولكن لماذا نشغل كثيراً بالمؤلف إذا كان المؤلف نفسه ليس بسيد أثره الذي أعطاه، ولا بسيد عمله الذي يريد أن يظهره ؟ بل نذهب إلى أبعد من هذا الحد ونقول : إن المؤلف هو الذي يطابق أثره ويمشي عليه ،وليس الأثر هو الذي يطابقه . ومهما كان هذا النقد موضوعياً علمياً فمن الواجب أن يتبعه نقد ذاتي يبث الناقد فيه آراءه الذاتية الشخصية . ومن هذه الناحية تولد النقد (المنفعل أو المتأثر) الذي يرى أن الناقد الحقيقي هو الذي يتكلم عن خلجات نفسه في الآثار الرائعة التي يطلع عليها . ومهما أشرق على طبائع مختلفة ونماذج متباينة فهو يرمي شخصية وحدود اتصال الحادث بنفسه . ولكن هذه الذاتية إذا تطرفت كثيراً أخرجت النقد عن كونه علماً ! ويطلب في الناقد الحقيقي أن يكون ذا موهبة تحليلية نفسية ، وأن يكون قادراً على الخروج من حدود الذات لتمكنه تذوق الفكرة الغريبة مع صيانته لشخصيته . ونقد آخر يعمل على ترتيب درجات الآثار الأدبية ، وآلة ذلك — كما يقول سانت بوف — الذوق ، لأن الذوق يعبر عن كل دقيق وعن كل خفي يتمشى في أنفسنا !

ونشأ في إبان النهضة العلمية النقد الفلسفي ، ويقول أصحابه : إن إلحاق النقد الأدبي بالعلم لا معنى له ، إذ لا يوجد علم يختص بشخص دون شخص ، والنقد الأدبي لا يعرف إلا الأفراد في الرجال والآثار . ويقول هؤلاء : إننا لا نضم العلم إلى النقد ، ولكن نضم الفلسفة إليه . والنقد الحديث قد دخله شيء من مدرسة أفلاطون وشوبنهاور وبرغسون . نعم إن الغاية من الأدب والنقد إنشاء اللذة النفسية ، ولكنا نريد أن نعرف تحليل هذه اللذة التي يغمرنا بها الشعراء والكتاب . وبذلك نزيدها أضعافاً مضاعفة . وهل كانت المجادلة على الشعر الصافي (Pure) إلا قبساً من فلسفة ما وراء الطبيعة . ونقد (تيبودي) الذي أوجد الاتصال بين الرمزية وفلسفة برغسون هو نقد مشبع بالروح الفلسفية المرتكزة على فلسفة الفنون والآداب . وهنالك النقد الاجتماعي والأخلاقي الذي يقيد الأدب والفن ويرى صلاحهما بمقدار معالجتهما للمسائل الاجتماعية والأخلاقية ، ولا ينصرها إلا بمقدار ما ينصران الأخلاق . وهكذا نجد في النهاية ألواناً كثيرة للنقد نشأت لتحليل ألوان الأدب وكل غايتها أن تفتح للأدب آفاق التجديد والابداع .

* * *

لقد دخلت هذه المدارس النقدية أدبنا وعملت فيه — على غير نظام — وأثرت فيه تأثيراً مباشراً . وليس طه حسين والعقاد واحمد أمين إلا وليدي هذه المدارس على اختلاف الاقتباس وتباين الطرائق ! على أنكم إذا شئتم أن تقارنوا بين من أنتجهم أدبنا الحديث — بين الناقدين والمبدعين — فسدت المقارنة وشالت كفة المبدعين ، لأننا لا نجدهم كما نجد الناقدين . وهذا الأمر يجعلني أعتقد بالنظرية التي أعلنتها « إنا بدأنا بالنقد قبل أن نبدأ بالأدب » فنقادنا الذين تثقفوا بالأدب الغربي قد فتحوا فتحاً جليلاً في أدبنا القديم . ولكنه فتح لم يعد بكل الفائدة على توجيه أدبنا الحديث . فأدبنا الحديث لا يزال جامداً مقلداً لا تلمس في أقلام أدبائه المبادئ الفنية التي يجب أن تكون فيهم ؛ وبهذا أفاد الأدب العربي الناقدين ولم يفد الأدباء المجددين .

قد يقول حاملو لواء التجدد : إننا نريد التجديد والتطور ، ولكن القدماء يمنعون علينا هذا التطور ويجدوننا في أدبهم هدامين . ولأصحاب المذهب القديم أن يقولوا ذلك لأنهم يرون في أساليب المجددين التواء وتنكباً عن الأساليب العربية ؛ ثم لا يجدون في أساليبهم ذلك المسل المصفى الذي يبشرون به . وما

ذلك إلا لأن جل المجددين أنفسهم يعشون ولا يدركون أين يعشون ! ويأخذون من كل ثقافة برقعة فيأتى ثوبهم مؤلفاً من رقع ! ! فهل درسوا نظرية كل مدرسة فى الفن والحياة ؟ فليس الأدب الغربى كله من هذه البضاعة التى ألف أن يحملها إلينا من حين إلى حين أناس لم يستقيموا لأدبهم ولم يستقم الأدب الغربى لهم . وإنا إذا دعونا إلى التجديد وإلى تدبر الأدب الحديث فلا ندعو إلى تعطيل الأسلوب العربى والبيان العربى ، لأننا نعلم أن لكل لغة من بيانها صبغة إذا زالت زال منها كل لون من ألوان عبقريتها . ولكننا لا نجد حرجاً في خلق المدارس الجديدة ليغذى أنصار كل مدرسة مدرستهم بخير ما يغذى . وفى الأقطار العربية فئات لا ينقصها من الثقافة شيء . ولا يضير العربية تعدد هذه المدارس لأنها باعث من بواعث النشاط والتحفز .

نحن في عهد قد اتسعت فيه مناحى ثقافتنا وأصبح لايشبعنا ما كان يشبع من قبلنا ، وأصبحنا نطلب من الأدب أن يكون شيئاً غير التنميق والزخرفة والشعوذة . والأدباء والشعراء الذين كنا نطرب لهم بالأمس لم يعودوا يملأون نفوسنا ، وإنا إذا طربنا اليوم ببعض آثارهم فلأن هذه الآثار تخاطب فينا جزءاً عتيقاً من أنفسنا لايزال يمد رأسه من حين إلى حين ، كالمقطوعة الشعرية مثلاً نسمعها فى مناسبة ما من فم قائلها فتطربنا ، ولكن إذا عدنا إلى « جوها » لم نجد شيئاً ، وإذا تلوناها تلونا فيها شيئاً كثيراً الا الشعر . وشعراؤنا على اختلافهم ينظمون كثيراً ولا نعرف لشاعر منهم لوناً خاصاً يتميز به إذا ميزت الألوان ؛ لأن جلهم لايزال يرعى عهد القدماء « القائل » احفظ أشعار الأوائل وانهج على منوالهم تصر شاعراً . . . ولم يعلم هؤلاء أن العصر قد تبدل وتبدلت بتبدله مطالبه ، وأن الشعر أصبح ذا رسالة تفتقر إلى ثقافة عميقة وذوق مهذب فنى . فهل هب من شعرائنا من يدرس النظريات الفنية ؟ وهل فى تحليل هذه النظريات والاستفادة منها ما يضير مواهبهم ؟ وهل يعارض أصحاب القديم فى ادخالها وهى لاتهدد البيان ولا تحرف اللسان ؟

كان الشاعر — مثلاً — يكفيه أن يجمع بين أية فكرة وأية لفظة لايبالى الملاءمة ولا يبالى أصل هذه الفكرة ! أما الآن فهو مضطر إلى أن يفرق بين الخطرة الفكرية والخطرة الشعرية ، وأن يعي علاقات الألفاظ بالمعانى وينسق ألحانها دون أن يخونه شيء . وهذا يدعوهم إلى أن يمارسوا النظريات الجديدة فى الفن وعلم النفس . وهذه النظريات هى وقف على العقل الانسانى الشامل لاتختص بأدب ولا تنتسب إلى قبيل ، وإن من واجب المدارس الأدبية إزاء هذه التطورات ألا تقف عند نظريات معينة فى النقد لتجعل من طلابها نقاداً ومؤرخين ، وإنما هنا لك النظريات الفنية التى تزيد فى اطلاع الطالب على أعماق النفس البشرية وتجعله أكثر ارتباطاً بالحياة وتفهماً لها . وبهذا تعمل على تطور الأدب — لاتاريخ الأدب — تطوراً مخصباً يعود على كل حقول الأدب بالانتاج والابتكار . قلت : إن النقد تقدم فى أدبنا ، وليس يعنى ذلك أنه بلغ الذروة التى نريد بلوغها . فللنقد عند الناقدين مذاهب كما للأدباء ؛ وكل مذهب يفهم النقد كما يريد ، بينما يقف نقدنا عند مرحلتين : (١) نقد الآثار القديمة وتنظيمها وإنشاء دراسات مخصبة عليها . وقد خطا النقد العربى فى هذه المرحلة خطوة واسعة موفقة (٢) نقد الآثار الحديثة وأكثره عمل تهديمى صرف ، أو إضرام بخور المجاملة للأصنام الأدبية ، دون أن يجرب أن يكون نقداً عميقاً يلتفت إلى البناء . وإذا كانت فائدة النقد الأول إحياء مآثر الماضين ففائدة النقد الثانى أجل وأعلى لأنه يحيي الأحياء ويفتح لهم طريق الإبداع . ومن هذا نرى سر تهافت طلابنا على الدراسات القديمة وتجمد روح الانتاج والابداع فيهم .

تلوت قراراً جديداً أصدرته الجمهورية الألمانية هذا العام تمنع فيه الأدباء الأحداث أن يجروا أقلامهم فى ميدان النقد ، لأن النقد عمل ثقافى يحتاج إلى مراس واطلاع واختبار . وهى تزعم أنها تريد من وراء هذا أن تحمى آثار العباقرة من التهجم ، ولكنى أريد أن يرقى النقد وأن يتناوله الشباب . وإذا أريد حماية الأدب فلا نستطيع أن نحميه بمثل هذا القرار لأن النقد غريزة فى النفس ، بل ربما كان النقد وحده عبقرية . وقديماً قالوا إن النقد يرافق الأثر الأدبى ولا يخلقه . ولكنى أرى أن النقد في كثير من المواطن لم يكن مرافقاً وإنما كان خالقاً . أجل ! إن العبقرية تكاد تكون — كما يجمع علماء النفس — شذوذاً فى الناس كالمعجزة ، ولكن هذه المعجزة مرتبطة — من نواح كثيرة — بما حولها ، ولولا ما حولها لفسدت . وهكذا ساعد النقد عبقريات كثيرة على الظهور لأنه عبر عنها وفسر ما يكتنفها من إبهام . ولذلك

لا حاجة إلى خنق النقد بحجة حماية الأثر الأدبى ، لأن الأثر الأدبى والنقد لايحتاجان إلى وسيط يَنهما للتفاهم ، ولا إلى قانون يحمى أحدهما من الآخر . فليوجد الأثر الأدبى من شاء ، ولينقده من شاء . . .

تقولون لى : وكأنما بك لم تكفك مقاييسنا الجديدة فى النقد فما هى مقاييسك ؟

إننى لا أميل إلى مقاييس تقريبية محددة مقيدة . ومن ذا يستطيع أن ينشىء للحياة وأذواقها المتباينة مقاييس . . ؟ وأية عين ترى مثل ما ترى الأخرى ؟ ولقد تتغذى بثقافة واحدة فى بيئة واحدة ، وتتجه وجوهنا شطر آفاق واحدة ، ولكننا لانتفق فى النهاية على تفهم ما نراه . ولكننا رأينا الحياة جميعاً ، وفهمنا منها كل بحسب مزاجه ، ولكن هذا لايمنع أن يكون للنقد مناح نوجهه إليها .

فالواجب الأول — عندى — للنقد أن يكون فى القارئ شخصية مستقلة فى النقد ، تترك صاحبها لايقبل الشئ نقلاً ، وإنما يقبله إذا قبله عقلياً ... استقلال الشخصية أول ما يجب أن يلهم النقد . فبقدر مايؤلمنى فقدان الاستقلال الشخصى فى الأمم ، كذلك يؤلمنى فقدانه فى الأفراد . وكما يقبل عليك الأديب بشخصيته ، أقبل أنت عليه بشخصيتك

والواجب الثانى للنقد — وهو واجب ما أحوج نقدنا إليه ! هو توجيه العقول إلى التوليد . وذلك بإنماء الذوق الفنى فى النفس حتى تتلمس مواقع الجمال ، وخلق الأجواء الخاصة له . فالشعر إذا لم يكن محدوداً فذلك لأن المحدود نفسه يتحدد فيه ويفقد روحه المنطقية ، ومن كان يتنبأ بأن الشعر يخضع لظروف جديدة ؟ أليس علم النفس أثر فيه كما أثر فى نواح مختلفة من الأدب ؟ ألم يبدل فيه وجهات كثيرة وخلق منه اتجاهات كثيرة ؟ وبينما كان الشعر لغة لاتصف من النفس إلا حالات العاطفة الهائجة ، ومن البحر إلا أمواجه المصطفقة أصبح يهوى إلى الأعماق التى تثير هذه العواطف المتماوجة فى سكون النفس ! إذ ليس من الضرورة أن تصف أوعى مافى نفسك وأقربه للاهتزاز والارتجاج . ويكفى من القصيدة أنها تضرب على وتر فى أعماقك تسمع رنينه ولا تسمعه ! على أنى لست متشائماً من تأخر الانتاج ، لأننا نؤثر أن تتكلم بالنقد على أن تتكلم بأدب غير ناضج ، ولا نريد أن يذهب تأثير الأدب الغربى إلى أبعد من جو النقد . نريده موقظاً فقط لا موحياً إلينا ، وفاتحاً عن أفق لا أن يكون هو الأفق !

والواجب الثالث أن يساعد النقد — كما يقول (لاسير) على أن يعد شعبا مفتوح آفاق التفكير صافى الذوق لكى يأتى المبدعون ويجدوا من يفهمهم ويعشون معهم . . .

خذوا النقد وسيلة لا غاية . وسيلة لفتح آفاق الانتاج القوى . ولا تجعلوه غاية سيركم بل اجعلوه طريقاً إلى غايتكم . وليكن لون انتاجكم لون نفوسكم ولون هذه الطبيعة . ولا ترتدوا ثياب غيركم لأنكم لن تحسنوا تقليد غيركم ، ثم لن تجدوا بعدها لونكم الخاص . ولا تمشوا وراء خطوات غيركم مقلدين ... إننى رحبت بالروح النقدية عندكم على أن تكون مقدمة للابداع المنشود :

فليكن لناقدكم ضمير يوحى إليه أن يعترف بالجمال حيثما رآه !

وليكن نقدكم نقطة يتعانق فيها العدل والحق والجمال .

وليفتح لكم النقد طريقاً إلى التوليد .

وليفتح الناقدون الطريق للروح المولدة .

وإذا لم نكن عباقرة فلنمهد — على الأقل — الطريق للعباقرة.

ولعل الذى وصفكم لي بأنكم ذوو عقول ناقدة مناقشة هو الذى يصفكم لي فى المستقبل بأنكم ذوو عقول مبدعة مولدة

« حمص » خليل هنداوى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٦ —

« لايؤاخذنى القارىء بما أخذت به نفسى من الترتيب فى هذه المقالات ؛ فقد يبدو لكثير من القراء أني أسير على غير منهاج واضح حين أجمع بين الحديث عن الرافعي الشاعر، والرافعى الأديب، والرافعى فى أهله، أو حين أثب من موضوع إلى موضوع لايمت إلى سابقه ولا يصله به سبب .

« وعذرى الذي أقدمه إلى القراء من هذا الخلط هو أنى أسير فى تاريخ الرافعى على الترتيب الزمنى لا ألقي بالا إلى غيره ؛ فأيما حادثة اعترضت حديثاً وجرت فى زمانه تناولتها ، حتى لايفوتنى شىء مما أريد إثباته ، فأسير مع الحادثة من حيث تبدأ فى زمانها وأنتهى بها حيث تنتهي من تاريخه ، ثم أعود إلى ما كنت فيه على حساب السنين ؛ فهذا من هذا ؛ وللباحث من بعد أن يجمع عناصر موضوعه على ما يشتهي ويتناولها من حيث يريد »

شعراء العصر فى سنة ١٩٠٥

قدّمت الحديث فى الجزء الرابع من هذه المقالات عن شيوخ
افعي فى الشعر الذين أخذ عنهم أو اقتفى آثارهم ، أو جرى
هم على سَنن . وأثبتُ ما كان بينه وبين حافظ من المنافسة ،
ا كان يتمتع به حافظ يومئذ من الشهرة والجاه والحظوة عند
شعب ، تلك الشهرة التي ألهبت غيرة الرافعي وحفزته إلى الكفاح
حمسته إلى استكمال أسباب الغلبة بعقد الأواصر وإنشاء
ودّات والدعاية لنفسه . ثم بينتُ ما كان بين الرافعي والكاظمى
ن صلة الحب والتقدير ؛ وتساءلت فى آخرة القول : هل من صلة
ن الرافعى وبين غير هؤلاء الثلاثة من شعراء الجيل ؟ هل كان
ير البارودى وحافظ والكاظمى من شعراء العصر أثر فى شعر
افعي ؟ وما مبلغ هذا الأثر ؟ وما نتيجته ؟

على أن الباحث المحقق لايقنعه هذا التساؤل ، وليس يكفيه من وسائل البحث أن يعلم من شعراء العصر هؤلاء الثلاثة فحسب ؛ ولقد نشأ الرافعى الشاعر فى أول هذا القرن ، وأوّله حافل بثُلّة من الشعراء لم يجتمع مثلهم فى زمان فى بلد ؛ فما مبلغ تأثر الرافعي بكل أولئك الشعراء المعاصرين ؟

هنا أدع للرافعى نفسه أن يتحدث ، وما حديثه هذا إلا طرف من الدعاية التى كان يقوم بها لنفسه في أول عهده بالشعر ليبلغ المنزل الذى يطمح إليه . وإنه ليكشف عن شىء من خلق الرافعى وكبريائه واعتداده بنفسه ، ويدل على قوة الرافعى وعنفوانه وشدته فى النقد ، إذ كان هذا الحديث أول ما كتب الرافعى في النقد .

إن أدباء العربية عامة لايعرفون من الخصومات الأدبية أشهر شهرةً من الخصومة بين الرافعي وأدباء عصره ؛ فالخصومة بين الرافعي وطه ، وبين الرافعي والعقاد ، وبين الرافعى وعبد الله عفيفى ، وبينه وبين غير هؤلاء — هي خصومة مشهورة مذكورة فى موضعها من تاريخ الأدب العربى في هذا الجيل ، مشهورة مذكورة فى موضعها من تاريخ النقد فى العربية.

وإن قراء العربية عامة ليعرفون الرافعي الناقد معرفة بصيرة ، ويعرفون شدته وعنفوانه فى النقد ، شدةً حبّبته إلى الكثير ، وألّبتْ عليه الكثير . على أن من يريد أن يعرف أول شأن الرافعي فى النقد فليقرأ مقال الرافعى عن شعراء العصر في سنة ١٩٠٥

* * *

نشر الرافعى مقاله ذاك فى عدد يناير سنة ١٩٠٥ من مجلة الثريا بتوقيع (*) وأحسبه أخفى اسمه وراء هذا الرمز حذر التهمة ، وليبلغ به مبلغه فى الدعاية لنفسه ، فقد جعل نفسه فى الشعراء رابع الطبقة الأولى من طبقات ثلاث تنتظم كل من يعرف الرافعى من شعراء عصره . جعل الطبقة الأولى منهم على الترتيب :

الكاظمى ، والبارودى ، وحافظ ، والرافعى ...

وفى الطبقة الثانية على الترتيب :

صبرى ، وشوقى[1] ، ومطران ، وداود عمون ، والبكرى ،

---

(١) لم يثبت الرافعي طويلا على هذا الرأى في ترتيب شعراء عصره ، وفيما كتب بعد ذلك من المقالات بتوقيعه الصريح ، بيان رأيه فى آخرته

ونقولا رزق الله ، وأمين الحداد ، ومحمود واصف ، وشكيب أرسلان ، ومحمد هلال ابراهيم ، ثم ... حفني ناصف !

وفى الطبقة الثالثة :

الكاشف، والمنفلوطي، ومحرم ، وإمام العبد ، والمزنى، ونسيم.

ثم ألحق بهؤلاء اثنين يعرفهما من شعراء العراق ، هما : السيد ابراهيم ، ومحمد النجفى

وقد افتتح الرافعى مقاله بما يأتى :

« قرأت فى بعض أعداد (الثريا) كلة عن (الأدب قديماً وحديثاً) فقلت : كلة مألوفة . ولم ألبث أن رأيت جملة أخرى لأديب غيور على الشعراء ، كان رأس الشعر بين أولها وآخرها كأنما خدش بين حجرين ؛ فقلت : إني أنظم الشعر فأسرّ ، وأقرأ عنه فأسرّ ، فالى لا أنفثها والقوم قد أصبحوا يتنافسون فى أسماء الشعراء ، كما يتنافسون في ألقاب الأمراء ؛ وقد استويا فى الزور ، فلا أكثر أولئك شاعر، ولا أكثر هؤلاء أمير

« ثم رأيت بعد أن عزم الله لى كتابة هذا المقال أن أتركه بغير توقيع ، وإن كنت أعلم أن أكثر من يقرأونه كذلك سيخرجون من خاتمته كما لو كانوا أميين لم يقرأوا فاتحته ، فإن الحكمة كلها والمعرفة بجميع طبقاتها أصبحت فى أحرف الأسماء . فإن قيل : كتاب لفلان ... قلنا : أين يباع ، وإن كان من سقط المتاع . على أن اسمى قد لا يكون فى غير بطاقتى وكتبي إلى أصحابي القليلين ، وفى سجلّ بعض الجرائد والمجلات ، فليظننى القاريء ما ضرب على رأسه الظن

« وسأذكر في هذه الأسطر كل من عرفته أو اتصل بى اسمه من الشعراء ، وأقطع عليه رأيي ، فإما وسمه فكمل به ، وإما أظهره كما هو فى نفسه ، لا كما هو عند نفسه ؛ ولذلك فقد ضممتهم إلى ثلاث طبقات ، وجاريت فى تسمية بعضهم بالشعراء عادتنا المألوفة »

ثم كتب رأيه بعد ذلك فى كل شاعر ممن ذكرت مقتبساً من شعره مستشهداً به على ترتيبه فى موضعه من طبقته

وكان مما قاله عن صديقه ومزاحه حافظ :

« ... وأكثر شعره فى هذه الأيام (سنة ١٩٠٥) أضعف من قبل ... والذين لم تستقم ألسنتهم ولم تزل أفكارهم على سقم يقولون : إن شعر حافظ اليوم خير منه فى ديوانه الأول ؛ وذلك لأنهم لا يدركون موقع الخيال الشريف ، ولا يهتزون للمعنى البكر إلا في اللفظ الثيب ، وهؤلاء يفضلون (شوقي) عليه ، وهيهات بعد أن استنوق الجمل ... ! »

وكتب عن نفسه :

« لو كان هذا الشاعر (يعني نفسه) كما أسمع عنه ، فإنى أكون قد ظلمته إذ لم أقدمه عن هذا الموضع (الرابع من الطبقة الأولى) ؛ فقد أخبرت أنه لم يتم الرابعة والعشرين من عمره ، ولذلك فإنى لا أكتب عنه إلا ما أعرف من شعره ، سواء كان فتى أو كهلا ؛ وهو قد طبع من ديوانه الجزء الأول من سنة مضت ، وذكر فى مقدمة شرحه أنه نظمه فى عامين ، وأنه لم يقل الشعر إلا منذ ثلاث سنوات من طبع ذلك الجزء ؛ ولم ألبث أن رأيت منذ أشهر فى بعض أعداد مجلة (الجامعة) تقريظاً مسهباً جداً للجزء الثانى من ديوان هذا الشاعر ؛ فأكبرت ذلك ، ولا شك أنه ينظم اليوم فى الجزء الثالث قياساً على ما تقدم ...

« ومما امتاز به هذا الشاعر ولعه الشديد بالغزل ، وبلوغه فيه أسمى ما يبلغه النظم ؛ وله مزية أخرى ، وهى غوصه على المعانى فى الأغراض التى لم تطرق ، وكثيرون يعدونه بذلك شاعر مصر ؛ وديوانه معروف ، وشعره مشهور ... الخ »

وقال عن شوقي :

« سيأخذ بعض القراء العجبُ إذا رأى شوقى بك ثانى الطبقة الثانية وهو هو (شوقى بك شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية) ! ولكنا نعجب أكثر منه إذ رأينا الشوقيات قد انقلبت إلى شوكيات ؛ فأى ذوق سليم يطمئن لهذه المعانى المكررة وتلك الألفاظ النافرة من مثل : « قضى أريحيُّ القوم » وغيرها ، ولا أدرى لهذا الانقلاب سبباً إلا إذا صح ما يقال من أن (صبري وسلمان) كانا يهذبان شعر الرجل من قبل ، وهو قول لا أجزم به ولا أرفضه ...

« ... وإنما اشتهر قديما يوم كان الكاظمى فى العراق والبارودى فى سيلان ، وصبرى من مهذبى شعره على ما يقال وحافظ فى السودان ، والرافعي لم يقل الشعر بعد — على ما قيل

لى ! — وأثبت له الشهرة إضافته إلى الحضرة الخديوية على نحو مايذكر النحاة فى باب (الجر) بالمجاورة ... »

وختم المقال بقوله :

« ... وسنرى ما يكون من امتعاض الشعراء بعد هذا المقال ، ولكننى أطلب إليهم أن يخفضوا عن أنفسهم ؛ فلا أنا من معية الأمير ، ولا من حاشية السفير ، وليس ما كتبت إلا رأيى ، فليبق كلٌّ فى رأيه وعند نفسه أشعر الشعراء »

وذيّلته مجلة (الثريا) بما يأتى :

« ألقى إلينا مكتب بريد الزيتون يوماً ملفاً ضخما وارداً من مصر ، وداخله كتاب موجز ومعه المقالة المتقدمة للنشر . أما الكتاب فهذه صورته بعد الديباجة :

« ... دونك مقالةً بكرا لم يُنسج على منوالها بعدُ فى العربية ، حريّة بأن تصدّر بها مجلتك الغراء ؛ ولا يروعنّك شدة لهجتها فكلها حقائق ثابتة ، وإن آلمت البعض فان الحق أكبر من الجميع ؛ وإنى لبالمرصاد لكل من ينبرى للرد عليها ، أنا كفء للجميع ؛ وما إخال أحداً يستطيع أن ينقض حرفاً ما كتبته ، وإن هم لزموا الصمت فحسبك من سكوتهم إذ ذاك إقراراً بأنى أنزلت كل شاعر فى المنزلة التى يستحقها .

« ولا يعنيك معرفة اسمى ، فأنا ابن جلا وطلاّع الثنايا ؛ انظر إلى ما قيل وليس لمن قال ، وبعد هذا فإن أعجبتك مقالتى فانشرها وإلا فاضرب بها عرض الحائط .

« وإنى أقترح عليك أن تنشر جميع ما يردك من الردود فى منى ، سواء جاهر أصحابها بأسمائهم أو تستّروا ، فإن الموضوع لىّ شهىّ ، وفى إطلاقك الحرية للكتّاب ما ينشط بهم لجرية الجولان فى هذا المضمار »

قالت الثريا : « وقد تصفحنا المقالة فراعنا شدة لهجة الكاتب فبتنا نقدم رجلاً ونؤخر أخرى فى نشرها ، إلى أن تغلب علينا الميل لنشرها ، إن لم يكن لشئ فلكثرة ما حوته من رائق الأشعار لفحول الشعراء ، وهم نخبة شعراء مصر فى هذا العصر ؛ فأقدمنا على نشرها كما وردتنا بالحرف الواحد ، غير متحملين تبعتها ؛ وللكتاب الأدباء الحرية فى الرد عليها ، وأبواب الثريا ترحب بكل ردها من هذا القبيل ، سواء من المشتركين أو غيرهم

« ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يُهدّم ، ومن لا يَظلم الناسَ يُظلَم[1] »

* * *

أحسب أن لهذا المقال أهمية كبيرة لمن يريد أن يدرس الرافعى دراسة أوسعَ قائمةً على قواعد من العلم والتحليل النفسى ؛ وإنما يستأهل هذا الاهتمام من ثلاث نواح :

أولاً : إنه أول ما أنشأ الرافعى فى النقد ؛ فهو كالمقدمة لهذه المعارك الطاحنة التى قامت بين الرافعى ولفيف من أدباء عصره بعد ذلك بعشرين سنة ؛ فلا بد لمن يريد أن يتحدث عن الرافعى فى النقد أن يبدأ من هنا

ثانياً : إنه ثَبَتٌ جامع لأسماء الشعراء الذين نشأوا مع الرافعى فى جيل واحد ، وقرأ لهم ونظر فى شعرهم نظر الناقد أو نظر المعجب المحتذى ؛ فلابد لمن يريد أن يتحدث عن الرافعى فى الشعر ، وعن الشعراء الذين تأثر بهم أو تأثروا به ، أن يعرف هؤلاء الشعراء.

ثالثاً : إن فى هذا المقال لوناً من ألوان الدعاية التى كان يقوم بها الرافعى لنفسه ليبلغ إلى الهدف الذى كان يرمى إليه بين أدباء العصر ، فلا بد لمن يريد أن يدرس وسائل الرافعى إلى الشهرة وذيوع الصيت أن يقرأ هذا المقال .

وبعد فإن فيه شيئاً من أخلاق الرافعى المزهوّ بنفسه ، المعتدّ بعلمه ، القوىّ بإيمانه ، المتقحّم على مواطن الهلاك ؛ الرافعى القزم الضعيف الذى وقف على السفح تعتمد خاصرته على راحته وهو ينظر إلى فوق ليقول للشعراء العالقة على القمة : إنزلوا إلىّ أو أصعد إليكم فأرميكم إلى بطن الوادى أشلاء ممزقة ليس فيها عضو إلى عضو ولا يسمع لكم صريخ . . . !

الرافعى ...؟ لقد كان الرافعى طويل اللسان من أول يوم ...!؟

« سيدى بشر » محمد سعيد العريان

[1] كان لهذا المقال رنة وصدى بين جماعة الشعراء فى ذلك العصر . وقد تحدث عنه المرحوم الرافعى مرة إلى قراء الرسالة ، فى العدد ١٠٩ فى مقال بعنوان (كلمات عن حافظ) وصف فيها أثره وما أحدث من ضجة بين الشعراء ؛ فليرجع إليه من شاء .

على أن الرافعى لم يصرح فى ذلك العدد أنه كاتب المقال ، ولكنه لم يستطع كذلك أن ينفيه عن نفسه ، وإن كان معروفاً لدى خاصته وأصدقائه أنه كاتبه ؛ وأسلوب الرافعى لايخفى على أحد من قرائه .

وقد ذكر الرافعى أن هذا المقال نشرته الثريا فى سنة ١٩٠٣ وهو سهو حقيقته ما ذكرت .

من تاريخ الأدب المصري

شعر القاضي الفاضل

للأديب محمد سعيد السحراوي

وقفت على نسخة مخطوطة من ديوان القاضي الفاضل في دار الكتب المصرية فأحببت أن أعرض طرفاً منه خدمة للأدب
(م . س)

سيرة القاضي الفاضل

ولد بمدينة عسقلان عام ٥٢٩ للهجرة ؛ فهو ليس مصري الأصل وإن كان مصري الدار . تولى أبوه القضاء في نيسان وهو طفل ، وثقفه تثقيفاً دينياً بحتاً حتى كبر ، فقدم إلى القاهرة في عهد الحافظ لدين الله ، وخدم فيها الموفق بن يوسف ابن جلال مدير ديوان الانشاء إذ ذاك فتعلم فنون صناعته ، وحذا حذوه في كتابته ، ثم انتقل إلى الأسكندرية يخدم بعض حكامها حتي عرف بينهم بالذكاء ، وبنبوغه في صناعة الانشاء ، فلما سمع به العاضد استدعاه إلى القاهرة وعينه كاتباً ، وفي عام ٥٦٦ للهجرة توفى الموفق بن يوسف بن جلال فجعل العاضد القاضي الفاضل مكانه — وظل يكرمه كل وال ورقيه ، حتى ولى الملك صلاح الدين فجعله كاتبه وقاضيه ، ووزيره ومشيره ؛ وظلت هذه حاله إلى أن توفى في ١٧ ربيع الآخر عام ٥٩٦ للهجرة أي في الليلة التي هزم فيها الأفضل ودخل العادل القاهرة

نسبه وصفاته

وهو الوزير مجير الدين أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء المجد علي بن القاضي السعيد أبي محمد ويعرف بالبيساني . وقد ذكر عنه المؤرخون أنه كان ديناً كثير الصدقة والعبادة ، وله وقوف كثيرة على الصدقة وفك الأسارى ؛ وكان يكثر الحج والمجاورة مع اشتغاله بخدمة السلطان . وكان ضعيف البنية ، رقيق الصورة ، له حدبة يغطيها الطيلسان . وقالوا عنه أيضاً إنه كان فيه سوء خلق يكمد به نفسه ولا يضر أحداً ؛ وكان يجل أصحاب الأدب ويكرمهم ويعاونهم ، ويؤثر أرباب البيوت والغرباء ولا ينتقم من أعدائه ، فإما أن يحسن اليهم أو يقتصر على الاعراض عنهم (١)

والقاضي الفاضل كاتب معروف وأديب له طابع خاص ، وأسلوبه لا يكاد يجهله مطلع على الآداب العربية ، فهو كما يقال عنه — رب العلم والبيان ، واللسن واللسان ، والقريحة الوقادة ، والبصيرة النقادة ، والفضل الذي ماسمع به الأوائل لمن عاش في زمانه ، وماتعلق أحد بغباره أو جرى في مضماره (٢) وهو كذلك شاعر جيد الشعر كما سيجيء

شعره

شعر القاضي الفاضل صورة من نفسه ، يدل على رقة حسه ؛ أكثره في الغزل ، لأنه أسلس ضروب الشعر قيادة للمحسنات اللفظية التي أغرم بها القاضي الفاضل غراماً شديداً ، وكلف بها كلفاً ظاهراً ، في غير تصنع واضح ، أو تطرف يخرج بها عن المعنى الذي يقصده . وقد اكتسب القاضي الفاضل من البهاء زهير وابن سناء الملك وابن قلاقس وغيرهم من الشعراء الذين عاشوا معه في مصر ، رقتهم وموسيقاهم الشعرية العذبة ، كما اكتسب مما كان يأتيه من أشعار الأندلسيين الذين كانوا في إبان نهضتهم الأدبية ، الأخيلة الرائعة والطرائق المستحدثة ، وإن كان قد حافظ على نظام سابقيه ، فظل ينظم فيما تعود سماعه وما كثر النظم فيه فلم ينظر إلى الطبيعة الساحرة نظرة الأندلسيين إليها ، ولم يجب الآفاق البعيدة التي جابوا فيها ؛ وربما كان ذلك نتيجة لنشأته الدينية واحتراماً لجلال المركز الذي وصل إليه

الفخر

القصيدة الأولى في ديوانه يعرفها بعض الأدباء ، وهي في الفخر ، وفيها يصف بلاغته متلاعباً فيها بالمعاني وهي خير مثال على شعره ومنها :

قضى نحبه الصوم بعد المطال ... وأطلق من قيد فتر الهلال
وروّض كاتب جنبي اليمين ... وأتعب كاتب جنبي الشمال

(١) ابن خلكان صفحة ٤٠٢ وما بعدها وابن الاثير جزء ١٢ صفحة ٦٥ والخريدة للاصفهاني وغيرهم
(٢) ابن خلكان

فدع ضيقة مثل شد الإسار ... إلى فرجة مثل حل العقال
وقم هاتها مثل ذوب النضار ... وموج البحار وطعم الزلال
جزى الله عني عروس الدوالي ... ولا أخطأتها كئوس الغزالي
بما أطعمت من لذيذ الثمار ... وما ألبست من نسيج الظلال
وما ساست من مذاب السرور ... وما خفضت من جماح التغالي
فكم زخرفت جنة للعذاب ... وكم رفعت قبساً للضلال
أغالط بالكأس حكم الزمان ... فيوم عليّ ويوم بمالي
فجاءت بما في عيون النساء ... ومرت بما في رءوس الرجال
وأسلو الغزال بها إذ أرى ... بكاساتها دم ذاك الغزال
إذا مزج الماء منها الكئوس ... مزجنا أسنتها بالنصال
وسكران كدر من سكره ... زمان على كل عقل ممال
فسكر الشباب وسكر الشراب ... وسكر الصدود وسكر الوصال
فلا تذكرن عهود الوصال ... فعهدي بها والليالي ليالي
ولم أبك عهداً رجاء الرجوع ... ولكن أجدده بالصقال
بعثن الليالي بيأس جديد ... عليّ قديماً فجاست خلالي
لما جاء عن منطق ذم جان ... ولا جاء عن جوهري ذم حالي
ولم استغث تحت ظل الخطو ... ب جرجرة البزل تحت الرحال
خشنت لحال كشوك القتاد ... ولنت لأخرى كشوك السيال
ولست لساناً لذل السؤال ... وما زلت صدراً لعز السؤال
حديث يناجي فروع السحاب ... وأصل يناجي أصول الجبال
إلى قلم منه عين الكلا ... م تجري فتنظر عين الكمال
يراع تظل رياض الطرو ... س منها موشحة بالضلال
كمثل الوقيعة فيها الظلال ... يشيع الوقيعة لي في الزلال
كتب يفيض بأرجائها ... عين الجدا أو لسان الجدال
تقدمها الشكل من فوقها ... كمثل السهام أمام النصال

وهي طويلة جمعت عدة أنواع من الشعر فأوعت .

الغزل

وشعر القاضي الفاضل الغزلي رقيق جزل ، فهو يقول معاتباً .

إلى لطوى الضلوع على جوى ... بأيسر منه ينشر الوابل السجم
أملت نفع الكتم فيه مغالطاً ... غليلي ولكن قل ما نفع الكتم
وقد كان لي عزم على الصبر صابراً ... فقد خانه بعد النوى ما نوى العزم
وأسعفها باللؤلؤ النثر جفنه ... ويسعفها من بعدها اللؤلؤ النظم
لنفسي أريد الوصل لا بعد موتها ... فلا خبر من بعد الممات ولا علم
لحى الله هذا العيش إن كان ما أرى ... فآنفه ظل وسالفه حلم
ويزعم صبري أنه لي عدة ... وأكبر ظني أن سيكذبني الزعم
فلا بعد إطلال الحي القطر وحده ... ولا دارها دمي ولا غلتي الظلم

* * *

تحرج عن وصلي مخافة إثمها ... فلا تحرجي إن الصدود هو الإثم
وأكثر أيامي تعقبها الأسى ... عليها ولكن قد تقلبها الدم
رضيت بما يقضي على قسط جوره ... فلم يغضب القاضي وقد رضي الخصم

واستمع إليه يقول متغزلاً ، وفي هذه الأبيات يظهر مدى أثر الشعر الأندلسي فيه :

سن النسيم تعانق الأغصان ... أفلا يسن تعانق الخلان ؟ !
قد كان بينهم حديث ساكت ... ناجى خواطرهم بغير لسان
فهمت قلوبهم فلما لم يجب ... عنها اللسان أجابت العينان
والقلب يدرك وهو ليس بسامع ... لفظ الدموع بألسن الأجفان
يا راحلاً من عينه قد أصبحت ... في الناس مقفرة بلا إنسان
فإذا جرت منها الدموع فإنما ... تجري لسقيا ذكرك العطشان

ومنها :

بلد بما يسقي غليلك ماؤه ... ما دمت تنزل منه في نيران
وعجبت من متوسل مستوصل ... بجهنم منه إلى بستان

وهو كذلك يقول :

يا هلالاً إذا أنار ضللنا ... وغصينا إذا تثنى ثنانا
بينما جلنار وجهك يبدو ... إذ رأينا في صدرك الرمانا

ومن غزله أيضاً :

تلك بجنتها أعين ... وفيها الذي تجتني الأنفس
لها نكهة إذ تحيي بها ... يغض لها عينه النرجس
وجاءت بعود لها خاطب ... أرم لهيبته المجلس
لها معجز إن تأملته ... فما سر إعجازه ملبس
أري العود من قبلها أخرساً ... وفي يدها ينطق الأخرس
كأن المدامة من لحظها ... ونار الغرام بها تقبس

وله :

ومالي في صيد العقارب حيلة ... سوى عقرب دبت على ورق الورد

وإني شجاع لا على كل حية سوى حية صيغت من الشَّعر في الخد!

وفى الأبيات الآتية تبدو حيرته ويتجسم قلقه ، فله من قصيدة :

عزقني ذا الحب كل ممزق ويصبح خلقي فيه وهو جديدُ
مقيم وقلبي فى ركابك سائر قريب — ولكن ما أريد ، بعيدُ

وله من قصيدة أخرى :

ليال تقضت ليس يوم براجع إليها ولكن الليالى سترجعُ
فياليت أسباب الليالى تقطعت كأسبابنا فيها إذا تتقطعُ
وإن فرطت منا وأعيي اتباعها فياليت أن النفس لا تتتبعُ
وإن كان قلبي بين جنبي حاضراً فليت هموم القلب لا تتبوعُ
وبينى وبين النائبات وقائع يهونها الموت الذي أتوقعُ
فكل زمان ليس لى فيه صاحب وكل حبيب ماله فى موضعُ !

وقال فى حبيب مريض ، وفيها تصوير لنفسه بديع :

وما عدته بل عدت سقمي بقربه ومما به مابي عليه قريب
أغيب برغمي ثم أحضر غائباً وأنظر آثار الضنا فأغيب !

وقال مداعباً :

بين الضلوع جهنم من حبهم فوددتهم لا يسمعون حسيسها
فمع الظلام الدمع كان طليقها ومع الصباح الهم كان حبيسها

وقال :

وماقضى الدهر لى من قربه وطراً إلا اقتضى الوطر المقضى أوطارا
يا من شقيت به دنيا وآخرة ترى عرفت سوى الدارين لى دارا؟
أشقى البرية منظوراً ومنتظراً هذا الضعيف الذى يهواك جارا !

ومن شعره الموسيقى العذب قوله :

وقف الطيف بجفنى كالطفل سائلاً أين الكرى أين رحل
إنما كان الكرى يسكنها فالكرى من وصلهم ثم انتقل
إنه يا طيف طوفان طغى وابن نوح ليس ينجيه الجبل
إن قلبى من قلوب لم تبن سرها لو لم تبينه القبل
حالت الأشياء عن حالاتها فتولى الماء إيقاد الغلل

هذه أمثلة من شعره الغزلى ، وما هي إلا قطرة من بحره الفياض ؛ ومنها نستطيع أن نحكم على نفسيته ؛ وهى لا تتعدى ماقال المؤرخون فيه .

«يتبع» محمد سعيد السراوى

فردريك نيتشه

FRIEDRICH NIETZSCHE

للأستاذ ابراهيم ابراهيم يوسف

عصره — مولده — تعليمه — شغفه بالأدب والموسيقى — أثر شوبنهاور وفاجنر فى تفكيره — أول مؤلفاته — « إنسانى وإنسانى إلى أبعدحد » « زرادشت » — بقية أعماله — فن نيتشه وفلسفته — وفاته — مدرسته

بدأ التفكير الاجتماعى يظهر جلياً فى آداب الأمة الألمانية فى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ويرجع سبب ذلك إلى تغلب النزعة الواقعية على غيرها من النزعات . وكان لهذه النزعة الجديدة أثرها الجليل ، فقد بدأت تسير فى سبيلها هادئة حتى تغلغلت فى نفوس المتأدبين . وكان على رأس القائمين بهذه الحركة الجديدة فريدريك نيتشه الذى أخذ يميل شيئاً فشيئاً إلى الاعتقاد بأن جماعات الناس تهوى إلى أسفل . وقد أرجع أسباب ذلك إلى أن الأدباء لا يعنون إلا بالفرد فى منتجاتهم الفنية ، فى حين أن حاجة الفرد ومتاعبه ومشاكله ليست بالذات حاجة العصر ومتاعبه ومشاكله ، وإن حالة الأديب قد تناقض حالة الجماعات البشرية . وعندئذ مال معه بعض صحبه إلى تفكيره هذا ، وبدأت الناس تحس بأن ما كتبه الأدباء عن ماجريات الأحوال وشئون الحياة ، أو ما كتبوه عن المسائل الاجتماعية والشئون السياسية التى سار ويسير إليها العالم ، ليست إلا بعض آراء من شتاتها . ومن ثم أدرك عامة الناس بأن لهم وجوداً ، وأنه يجدر بهم أن يعبروا عن آرائهم بصراحة . فأنجبت هذه الحركة أدباء فنانين من طراز جديد ، منهم المصلح الاجتماعى ، ومنهم الثورى الاشتراكي ، ومنهم طبقات الفوضويين . ولنحاول هنا أن نلم بتاريخ حياة فردريك نيتشه لنتعرف مكانه من بين هؤلاء .

* * *

ولد فريدريك نيتشه فى اليوم الخامس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٨٤٤ م ، فى قرية « ريكن » Roecken الواقعة بالقرب من « لتزن » Loetzen . وقد يبدو لمن يحدق فى صورة نيتشه أو يسمع باسمه أنه يمت إلى أصل بولونى ، ولكن الباحثين قد فرغوا من إثبات أصله الألماني . ويرجع التشكك فى اسمه

إلى أن الألمان الذين كانوا يستوطنون المناطق التي يتغلب فيها السلافيون لا يرون غضاضة في صبغ نهاية أسمائهم بالصبغة السلافية . وكذلك فعلت عائلة نيتشه . أما تكوين رأسه واصفرار لون شعره وزرقة عينيه ، فدليل كاف على أنه ينتمي إلى «الشماليين» أي سكان شمال أوربا .

وكان لفريدريك أب قس ورث عنه نزعته للموسيقى وذكاءه المتقد وإحساسه المرهف وأعصابه الملتهبة . أما القوة فقد ورثها عن أمه التي أخذ عنها قوة الارادة ، والقدرة على العمل ، والقوة الحيوية ، وقوة مناعة جسمه ضد هجمات أعصابه الثائرة . أما الوعظ والدعاية لما يؤمن به فقد ورثه عن أبويه كليهما ، ولذا كان حب الوعظ والارشاد قويا عنده إلى حد أنه كان يهيم بوقع الكلمة التي ينطق بها . وكان من اجتماع نزعته الاصلاحية إلى قوة إرادته وصدق حيويته لهيب من النار يسري في كلماته فتهتدي به الناس وتطمئن إلى حرارته في جو انعدمت فيه حرارة الإيمان .

وليس غريباً أن يكون هذا شأن نيتشه ، فقد كان في صغره شعلة ذكاء تتقد منذ سني دراسته الأولى . فقد كتب مذكراته عام ١٨٥٨ ، ولما يبلغ الرابعة عشرة من عمره ، بأسلوب واضح متزن يشف عن ذكاء مبكر ، إذ قال : « أصبحت في الطور الشعري الثالث . » وكتب أيضاً : « يجب أن أتمرن على القريض أكثر من ذي قبل ، وإن أمكن فسأنظم في كل ليلة قصيدة . » ومع كل ذلك لم تخلُ قصائده الأولى هذه من أبيات موسيقية شاذة تحوي معاني مبتكرة . وفي سن الخامسة عشرة نظم قصيدته المعروفة باسم « بغير وطن » ذات النزعة الرومانتيكية . والتف حوله الأدباء الناشئون وألف منهم جمعية أدبية أسماها « جرمانيا » . وكان يأمل أن يتتلمذ في المستقبل على جين باول Jean Pav بعد أن مال إلى فنه كل الميل . ولكن غير واحد من أصدقائه نصحوه بقراءة «هيلدرين» Hoelderin «ونوفاليس» Novalis فقرأهما كما قرأ « شكسبير » و « ترسترام شاندى » Tristram Shand وهو في سن الخامسة عشرة . وكتب إذ ذاك في مذكراته : « إنني أقيد كل فكرة طريفة ؛ وقد اتضح لي أنني في ما قبل الآن كنت غير ملم بشيء من العلوم . »

ولم يكن شغف نيتشه بالأدب أكثر من شغفه بالموسيقى .

وكان أحب الموسيقيين إليه « روبرت شومان » (Robert Shumann) الرومانتيكي النزعة ، ولكنه مال بعد ذلك إلى شوبان (Chopin) ، إذ قال عن موسيقاه إنها تمثل جمال ونبل الفكر كما تمثل المرح وعظمة الروح الانسانية والشعور الفياض سواء بسواء » وفضلا عن ذلك فقد وضع نيتشه أيام صباه قطعاً موسيقية قال عنها بعد أن تقدم في السن : إن « نغماتها » تكاد تكون مطابقة لموضوعات مختلفة من بارسيفال (Parsival) التي ألفها فاجنر (Wagner) بعد عهد الصبا لنيتشه .

وعند ما التحق نيتشه بجامعة « بون » (Bonn) عام ١٨٦٤ كان يرغب في دراسة اللاهوت ، ولكنه نزع عام ١٨٦٥ إلى دراسة الآداب الكلاسيكية إلى جانب دراسته الأصيلة . غير أنه هجر فيما بعد دراسة علوم الدين وتعلق بالبحث في العلوم ، ثم رحل إلى « ليبزج » (Leipzig) طلباً لحرية الفكر وحرية الرأي ، ولكنه سرعان ما أدرك « أنه لا يوجد مكان تتوافر فيه حرية الفكر » وكان شوبنهاور (Schopenhauer) قد ساعده على تحرره من عقيدته الدينية ، بعد أن اتصل به في « ليبزج » التي قال فيها نيتشه : « هنا وجدت مرآة رأيت فيها العالم والحياة كما رأيت نفسي منعكسة بها في أجلى وضوح ؛ وهنا حدقت في عين شمس الفن الذي لا نهاية له ؛ وهنا رأيت المرض والبرء ، رأيت المنفى والملجأ ، رأيت النار والجنة » وفي هذا ما يدل بمفرده على مقدار تأثر نيتشه بشوبنهاور ، كما تأثر به بعد ذلك في أبحاثه الأدبية التي كتبها أثناء دراسته في الجامعة ، والتي أدهشت أساتذته ، إذ عجبوا لأسلوبه العلمي الرصين . ولكن كل أبحاثه الأدبية لم تكن لتغريه إذ كانت تنقصها الفكرة الانسانية . ودفعه هذا الاتجاه الجديد في تفكيره إلى تغيير منهج دراسته الذي كان قد صمم عليه . فقد كتب إلى صديق له عام ١٨٦٩ يقول : « إننا دون شك أتباع القدر . فمنذ أسبوع أردت أن أكتب إليك بأني اعتزمت دراسة الكيمياء وترك دراسة الآداب لمن هم أليق بها مني ، وهؤلاء هم الشيوخ . والآن يغريني شيطان القدر بالأستاذية في الآداب »

ولم يكن تعرّف « نيتشه » إلى «شوبنهاور» أهم ما وقع للأول في حياته إذ أن تعرفه إلى فاجنر قبل نزوحه إلى « بازل » Basel

كان له أثر عميق فى نفســه . ولم يكن حب « نيتشه » لموسيقى « فاجنر » وليد يومه ، بل لقد اعتـبر « نيتشه » صديقـه « فاجنر » المثل لـكل الفنون الحديثة التى ارتشفها وهضمها . وبلغت تلك الصداقة أبعد مدى لها سنة ١٨٨٨ عندما قضى كلاهما الصيف فى قرية بالقرب من « لوزرن » Lutzern . وحرص نيتشه على ألا تنتزع الأيام منه هـذه الصداقة ، وود لو أن تبقى صلته بصديقه فاجنر إلى الأبد ، وقال عنها : « لقد كانت أيام تبادلنا فيها الثقة ، أيام مرح وسرور . والحق أنها لحظات لهـا أعمق أثر فى نفسى » . قال ذلك نيتشه عن صديقه الذى أخلص له فقال فيه : « إننى لا أعرف ماذا كان حظ الآخرين من مصادقتهم لفاجنر ، إلا أنى أعرف أن سماءنا لم تغشها سحابة قط » وما ذلك إلا لاعتقاد نيتشه بأن صديقه عبقرى كريم الخلق ، تنطبق عبقريته على وصف شوبنهار للعبقريات

وفى ذلك العهـد ألف نيتشه أول كتبه القيمة الذى أسماه « انحدار التراجيـدية من روح الموسيقى Die Geburt der Tragoedie aus dem Geiste der Musik وأتمه عام ١٨٧١ وقد ضمنه أهم ما وقع له فى حياته الخاصة وصداقته مع فاجنر ، كما ضمنه مراميه الأولى والأخيرة فى الحياة ، ومساس الحاجة إلى الموسيقى . ولقد كتب كتابه هـذا بأسلوب رائع تجلى فيه هيامه بالفنون ، وأثبت قدرته على البحث كعلامة . ولم يحجم نيتشه عن أن يقول رأيه فى الفنون الاغريقية وفى الاغريق . ويعد كتابه هذا من أروع الـكتب الـكلاسيكية التى تناولت الفن من عديد نواحيه التاريخية والفلسفية والعقلية . فلقد حاول نيتشه « أن يرى العلوم والمعارف بعين الفنان ، وأن يرى الفن عن طريق الحياة » وهاجم فى كتاب آخر له أسماه « نظرات لا تتفق وروح العصر » Un zeitgemaessen Betrachtungen ووضعه فيما بين سـنة ١٨٧٣ و١٨٧٥ — عديد الاتجاهات فى الثقافة الألمانية . فقد قال بأن ألمانيا تعيش فى حالة همجية من الثقافة . وأفصح فى هذا الـكتاب عن طبيعة الحقائق الواقعية وما يقع تحت الحس فى كل آن . وطالب بأن يكون الفن ممثلا للعصر والحياة . وفى هذا الـكتاب ينزع إلى المثل العليا ، كما يميل فى كتابته إلى التهكم المشبع بروح الفكاهة ، وفى كتابه الذى أسماه « بعض فوائد ومضار التاريخ فى الحياة » Von Nutsen und Nachteil der Hisioriefürdas Leben قال بأن كثرة المعلومات ليست وسيلة الثقافة ، ولا هى دليل عليها إذ المسألة متعلقة بالسمو فى الحياة . أما التخمة الناجمة عن التهام التاريخ وحشره فى الرأس حشراً فانها تجعل الحياة مريرة كما تجعلها خطرة . فالتاريخ يضعف الشخصية ، ولا يمكن لشخصية أن تتحمله إلا إذا كانت غاية فى القوة . أما ضعاف الشخصية فالتاريخ يؤبدهم ، إذ يصبحون دائرة معارف متنقلة ، ولا يكون لهم رأى ، وإن جرأوا على ذلك فهو رأى محايد ، ليس لشخصيتهم فيه أثر . ومن رأيه « أن وظيفة الانسانية أن تعمل دون انقطاع لتخرج إلى العالم شخصيات عظيمة » . والذى جر نيتشه إلى هذا التفكير هو شدة تأثره « بشوبنهاور » و « فاجنر » ، غير أن أثرهما فيـه لم يدم إلا بعض الزمن . فقد أدرك عند ما شاهد حفلات « بارويت » Bayreuth — الحفلات الموسيقية والتمثيلية السنوية الهامة — أدرك أنه خدع فى رأيه ، فقال بأن فاجنر يتخذ وسائل خشنة جامحة لإظهار تلك الفخامة العاصفة . وذلك الاضطراب العظيم المخيف وإن كان مزركشاً ومحلى بزخارف بهيجة أبغض الأشياء إلى نيتشه .

وفى سنة ١٨٧٦ أخذ نيتشه فى دراسة الفيسيولوجيا والطب والعلوم الطبيعية . ومن ثم أخذ يدرس من جديد جميع المسائل التى عالجها من قبل . وكتب فى فترة المطلة التى قضاها فى جنوب ألمـانيا كتاباً أسماه « الخلاص » Loloesurq ، وهو أول جزء من كتاب جمع فيـه مختارات أقواله واختار له اسماً آخر هو : «إنسانى وإنسانى إلى أبعد حد» - Menschliches , Allsumen schliches وكان ذلك عام ١٨٧٨ . ولـما أن أهدى كتابه هذا إلى صديقه فاجنر ليطلعه على آرائه الجديدة بعث إليه فاجنر بقطعته الموسيقية «بارسيفال» ونجم عن ذلك فتور بين الصديقين ، إذ تمسك كل منهما برأيه . ولعل كتاب « إنسانى ، وإنسانى إلى أبعد حد » هو كما أسماه صاحبه « كتاب لأحرار الفكر » وفى هـذا الـكتاب من التضارب فى القول ما جعل الناس تتحدث عنه . فبينما تراه فى هذا الـكتاب ملماً بكل شئ سليم المنطق ، تراه غاضباً فى بعض مواضع الـكتاب مهتاج الأعصاب مريضاً . والواقع أنه كان يقاسى الآلام ، ولـكنه كان يحاول الـكلام كمن لم يمسه بسوء . وكان يريد الاحتفاظ بهدوئه ليهزأ بالعالم ، كما قال بعد ذلك بعشر سنين . والحق أن نيتشه كان ثائراً على نفسه .

« يتبع »

ابراهيم ابراهيم يوسف

الفلسفة الشرقيـــة

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ١٩ —

الديانة الفارسية

الزرادشتية ومصدرنا عنها

ليس لدى الباحث عن الديانة « الزرادشتية » إلا مصدر راحد ، وهو كتابها المقدس : « زند أفيستا » الذى وإن كان لم تم جمعه إلا حوالى القرن السادس بعد المسيح إلا أنه قد احتوى لى جزء عظيم يدعى « جاتها ياسنا » وهو الذي يرجح جميع العلماء نه كلام « زرادشت » نفسه ويرجعون تاريخه إلى القرن السابع و العاشر قبل المسيح على ما اختلفوا فى وجود النبي الفارسى كما أسلفنا . وما ليس من كلام « زرادشت » من هذا القسم و — فى رأى الكثرة المطلقة من الباحثين — يمثل «الزرادشتية» لأولى حق تمثيل ، ويصح أن يعتمد عليه في تاريخ العصر الأول ن عصور هذه الديانة . وهذا القسم قد وجد مكتوباً بلغة قديمة جع إلى ذلك التاريخ الذى عينه العلماء .

الميتافيزيقا

يجد الباحث فى قسم « الجاتها » أن « زرادشت » أرجع يع آلهة المهد القديم إلى إلـهين اثنين : إلـه الخير « أهورا زدا » أو « هور مازاد » أو « هرموز » ؛ وإلـه الشر أو الكاذب الردىء ، وهو الذي سيسمى فيما بعد بـ « أهرمان » فى رأى حققين . ولكن هذه التثنية ليست على علاتها ، ولم تكن تثنية ناها الصحيح ، لأن الالـه الذى خلق الكون هو « أهورا » ا « أهرمان » فلم يكن له عمل إلا إيجاد شبه ظل من الشر كل خير يخلقه « أهورا » وهو وإن كان أزلياً كمازدا ، لأنه م ردىء له إلا أنه ليس أبدياً مثله ، إذ هو سيفنى عند ما يتغلب الخير على الشر فيمحوه من الوجود . أما رفعته عليه فهى ثابتة بنص الكتاب المقدس الذى أسلفنا الاشارة إليه . وإليك شيئاً من هذا النص :

« استمعوا بآذانكم الأشياء الجيدة وانظروا فيها بوضوح حتى تصمموا على أحد الايمانين ، لأن كل إنسان يجب عليه أن يصمم هو بنفسه قبل الفناء النهائى لكى يتكون حظ كل واحد منكم حسب اختياره .

إذاً ، فالروحان الأولان اللذان ظهرا في الوجود كتوءمين هما : الخير والشر ، وهما دائماً فى التفكير والقول والعمل والحكماء قد اختاروا بينهما ، وحسناً اختاروا ، ولكن الفاليك هم الذين أساءوا الاختيار . وعند ما تقابل هذان الروحان فى مبدأ الوجود أسسا الحياة و « اللاحياة » . وفى نهاية الأشياء سيكون أردأ أنواع الوجود من نصيب الذين يتبعون الكذب كما يكون أحسن الفكر من نصيب الذين يتبعون الخير . . . » إلى أن يقول :

« أيها الفانون ، إذا أنتم أطعتم أوامر « مازدا » الذى نظم السعادة والألم ووضع قاعدة العقاب الطويل للكذابين وبارك الأخيار فانكم ستفوزون بالسعادة الأبدية [1] »

قد رأيت من هذا النص سمو « مازدا » على « أهرمان » من جميع النواحى ، وعلى الخصوص من ناحيتى الأخلاق والأبدية ، ولكن هذا الالـه مع سموه وجلاله لم يسلب القوة والإرادة من البشر حتى ولا الأشرار منهم ، بل ترك لهم من الإرادة ما يكاد يساوى إرادته نفسها ، ليكونوا كاملى الحرية فى الاختيار . ولولا هذه الحرية لما رأينا الكذب والشر يسودان كثيراً على هذه الأرض وينتصران أحياناً على الخير ؛ وهذه السيادة وذلك الانتصار كانا أحياناً يدفعان « زرادشت » إلى التشاؤم واسوداد المزاج كما يظهر ذلك فى الأنشودة الآتية : « نحو أى بلد أفر أو أنجو بنفسى ؟ لقد فصلت من النبلاء ومن أمثالى ، والشعب ليس مسروراً منى ولا الكذابون الذين يحكمون البلاد أيضاً . ما ذا أعمل لأرضيك أنت يا (مزدا أهورا) ؟

أنا أعرف جيداً لماذا لم أحز أي نجاح : ذلك لأنى ليس لدى

(١) ياسنا آية ٣٠

مال ولا رجال . أنا أدعوك يا (أهورا) أن تمنحني مساعدتك كما يساعد الصديق صديقه .

يا « مازدا » متى تشرق شمس انتصار الخير في العالم بوساطة الحكمة السامية الممثلة في المحررين الذين سيجيئون[١] ؟ .

لم تقبل هذه التثنية « الزرادشتية » إلا أثناء حياة مؤسسها ، أما بعد موته فقد دار حولها الجدل ولم يفهم الناس هذه الموازنة المعقدة التي وضعها زرادشت بين الخير والشر . وما زال هذا الجدل يعمل عمله حتى انتهى حوالى القرن الرابع بعد المسيح باحداث تغيير جوهري في هذه الديانة ، فذهب فريق من رجال الدين إلى إنكار التثنية بتاتاً وإعلان التوحيد حيث صرحوا بأن « مازدا » هو الإله الأوحد ، وأن « أهرمان » ليس خصما له وإنما هو خصم روح القدس في « مازدا » إذ هذا الأخير يحتوي على روحين : أحدهما خيّر والثاني شرير[٢] .

الملائكة والأرواح الخفية

يتحدث كتاب « زندأفيستا » عن عدد من كبار الملائكة كانوا وزراء لأهورا مازدا ، وقد حددهم القسم المتأخر من هذا الكتاب بستة وزراء ، كل واحد منهم له اختصاص معين وعمل محدود ؛ ووزاراتهم هي كما يأتي : (١) الفكرة الخيرة . (٢) الفضيلة الجلّى . (٣) الامبراطورية الشهاة (٤) التنازل الكريم . (٥) الصحة (٦) الخلود

هؤلاء هم رؤساء الملائكة الذين يكونون الهيئة العليا التي تلي « أهورا » مباشرة . وهناك عدد عظيم من صغار الملائكة ومن الأرواح والجن ، لكل واحد منهم أيضاً مهمة يقوم بها ومنزلة يشغلها ، وهذه المهمات تختلف في جواهرها كما تختلف في قيمتها ، فبعضها أخلاقي كصغار الأعمال الخيرية ، وبعضها مادي كالعناصر والنباتات المختلفة . ولقد أخذ هذا العدد الأخير يتضاعف وتزداد سلطته حتى طغى أو كاد على الديانة الزرادشتية ولو في البيئات العامية على الأقل حيث عاد بالجماهير إلى عبادة العناصر كما كانت الحال في الديانة القديمة . وقد بعث « ميتهرا » من جديد وأصبحت النار والشمس والقمر والنجوم ملائكة ثم آلهة ، واستردت أهميتها الأولى في تلك الأوساط وعاد إلى الوجود من جديد « أهوما » إله الخمر الذي رأيناه في الديانة الأولى كما حدثت خرافات أخرى لم يكن للفرس عهد بها من قبل كذلك العملاق ذي الأرجل الثلاث والذي له أهمية في إدارة العالم . ولكن ينبغي أن نلاحظ أن مازدا هو الذي كان لا يزال الإله الرئيس على جميع هؤلاء ، ولم يكن الآخرون إلا آلهة ثانويين أو ملائكة أو أرواحا .

هؤلاء جميعاً هم أعوان « مازدا » أو هم الحزب الأعلى ؛ أما الحزب الأدنى أو أنصار إله الشر فهو يتألف طبعاً من «أهرمان» رئيساً ، وقد كان الشعب في أول الأمر يتمثله في ثعبان أو في ذكر الضفدع أو في حيوان ردئ مزعج أو في حصان جمح وتوحش ثم استطاع أحد الملوك أن يقبض عليه ويخضعه ، ولكن لما تقدم الشعب وارتقت عقليته لم يعد يتمثل إله الشر على هذه الصورة المادية الساذجة ، وإنما خطا به نحو التصور المنوي فرفعه إلى عالم المدركات العقلية وجعل له وزراء ستة كأهورا يختص كل واحد منهم بعمل من أعمال الشر والسوء ، وعلى رأس هؤلاء وضعوا « أندرا » الإله الشمبي القديم ، ولكن تحت اسم وزير سابع خاضع لأهرمان . ودون هؤلاء الوزراء وضع رجال الدين أيضاً ملائكة شر وأرواح سوء وشياطين وسوسة وضلال ، وذلك مثل ملك الرعد وملك العواصف المدمرة ، وكالأرواح الحالة في الحيوانات المؤذية والحشرات الضارة ؛ وهناك أيضاً من هذا الحزب شياطين موكل كل واحد منها برذيلة من الرذائل ، عليه أن ينميها وينشرها ويعلي شأنها[١]

لم يكتف رجال الدين بهذا التقسيم ، بل ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فعينوا شمال بلاد فارس كمستقر لأرواح الشر وشياطينه ، وعلموا الشعب بعض تعاويذ سحرية إذا قرأها المؤمن فرت من أمامه أرواح الشر وتضعضعت قوتها وهوت إلى مكان سحيق . وكان أهم هذه التعاويذ ما أخذ من الكتاب المقدس ثم قرئ بطريقة خاصة ولهجة معينة ورنة مُوَقَّعة .

الإنسان أو الشخصية البشرية

لم يوجد في القسم القديم من « زند أفيستا » ما ينبئنا برأى

(٢) ياسنا آية ٤٦

(٢) راجع (١) . (ف) « جاكسون » . دراسة الزرادشتية صفحة ٧٠ طبعة نيويورك سنة ١٩٢٨

(١) انظر تفصيل كل هذا في كتاب .. جاكسون الذي أشرنا إليه آنفاً من صفحة ٣٧ إلى صفحة ١٠٩

زرادشت فى الشخصية البشرية من : جسم وروح من حيث المبدأ أو المصير ، وإنما كل ما لدينا فى هذا الشأن قد وجد فى الأجزاء الأخيرة التي كتبت بعد عصر زرادشت بزمن غير يسير ، أى بعد ما ارتقت المعارف الإنسانية نوعا ما وبدأ الخاصة يفكرون فى ثنائية الانسان ويحللونه إلى جسم وروح .

يجد الباحث فى هذه الآيات المتأخرة أن الانسان يتألف من جسم وروح وأن الجسم يتكون من أربعة أشياء : اللحم والعظم والقوة الحيوية والصورة أو القالب ، وهـذا الأخير هو وحده الذى يعود إلى الحياة فى حالة البعث دون الثلاثة الأول التى لا تبقى

وأما الروح ، فهي عندهم خمسة أنواع ، بين كل واحد منها وبين الأربعة الأخرى شيء من الترادف أو التقارب يجعل التحديد الدقيق صعباً أو كما يقول أحد الباحثين الأوربيين « إن مفردات لغاتنا لا تستطيع التعبير الصحيح عن هذه المعانى » . وهاك هذه الأقسام الخمسة للروح :

(١) النفس والالهام والعقـل (٢) الدين والضمير الخلق والوحى (٣) الوجدان النفسي والشعور والاحساس (٤) الروح بأدق معانى الكلمة (٥) الفرافاشي . وهو عبارة عن شبح سماوي هو فى نفس الوقت ملك حارس وروح جوهرية ، وعلى الجملة هو الانسان الحقيقى الذى ليس الكائن البشرى إلا مظهراً له ، وهو وحده الذى يستطيع أن يتصل بأهورامازدا ويحيا فى حضرته ، ولهذا عند الموت يفني الانسان كله فى هـذا « الفرافاشي » [1]

مصير الروح

عند ما يموت الميت تظل الروح ثلاثة أيام وثلاث ليال معلقة إلى جانب الجسم ، منعمة بنعيمه أو معذبة بعذابه ، وفي فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح إما معطرة إذا كان الميت خيراً ، وإما نتنة إذا كان شريراً فتحملها إلى موضـع تلتقى فيـه إما بفتاة جميـلة ، وإما بعجوز مفزعة ، وليست الأولى فتاة حقيقية ولا الثانية عجوزاً حقيقية ، وإنما هى صورة أعمال الميت ، وهى ضميره نفسه الذى سيقوده إلي حيث معبر الحساب والحكم الأخير . وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم « ميثهرا » وهناك ينصب ميزان توضع في إحدى كفتيه حسـنات الميت وفى الأخرى سيئاته . وبناء على صعود إحدى الكفتين يصـدر الحكم على مصير هذا الميت .

ويلاحظ أن الثواب والعقاب لم يكونا ينصبَّان على كل حسـنة أو كل سيئة على حدة ، بل على مجموعة النوعين ، فاذا رجحت الحسنات كفرت السيئات مهما كانت كل واحدة منها فى ذاتها جسيمة ؛ كما يلاحظ أن الندم والتوبة لم يكونا معتبرين ، وأن الغفران فى الحساب لا وجود له ألبتة لأنه مؤسس على العدل لا على الرحمة .

وعلى أثر انتهاء الوزن وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر أو الصراط الممتد فوق الجحيم ، الذي يتسع أمام الأخيار ويضيق حتى يكون أدق من الشعرة وأحد من الشفرة أمام الأشرار .

فهؤلاء الأخيرون يهوون في جحيم مظلم ظلاماً كثيفاً إلى حد يستطاع معه لمسه باليد ، فاذا هوَوا فى الجحيم كانوا متزاحمين كأنهم كمية من الشعر فى مَعْرَفة حصان ، ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر فى وسط هذا الزحام بوحدة قاسية وعزلة ممضة .

أما الأخيار ، فيذهبون إلى النور حيث يستقبلهم « أهورمازدا » بعد أن يمروا فى وسط العمل الصالح والقول الخير والفكر الطيبة ، وهناك يستمتعون في كنف « مازدا » بالسعادة الأبدية .

هذا كله بالنسبة لمن ثقلت موازينهم أو خفت ؛ أما من استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فهم يوضعون فى مكان فسيح بين السماء والأرض ، يقاسون فيه آلام الحر والبرد ، ويحسون بجميع التغيرات الجوية ، ويظلون ينتظرون فى أمل ورهبة الحكم الأخير على مصيرهم الذى يظل مظلما ماداموا فى هذا المكان . وأشهر أهل هذا الموضع هو : « كيرزاشبا » الذي قتل وحشاً مرعباً فحسب له ذلك حسنة ، ثم دنس النار المقدسة فحسبت عليه سيئة مساوية للحسنة الأولى فظل بين النعيم والجحيم [1]

« يتبع » محمد غلاب

(١) راجع كتاب «مولتون» صفحات ٢٥٤ ومابعدها و«جاكسون» صفحات ١٢٣ وما بعدها

(١) راجع « مولتون »صفحة ١٧٦

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

١٧٨ — والأبيات على ظهر يده

فى (مطمح الأنفس وشرح الشريشى) : خرج القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى إلى حضور جنازة بمقابر قريش ، وكان رجل من بنى جابر يؤاخيه ينزل بقرب المقبرة ، فعزم عليه فى الميل إليه ، فنزل وأحضر له طعاماً ، وأمر جارية له بالغناء ، فغنت تقول :

طابت بطيب لثاتك الأقداح ... وزها بحمرة وجهك التفاح
وإذا الربيع تنسمت أرواحه ... نمت بعَرف نسيمك الأرواح
وإذا الحنادس ألبست ظلماؤها ... فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طرباً بها فى ظهر يده ، ثم خرج من عنده . قال يونس بن عبد الله : فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنازة والأبيات مكتوبة على ظهر يده .

١٧٩ — أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل

فى (مجمع الأمثال) : حديثه أن رجلا من العرب أغير على إبله فأخذت ، فلما تواروا صعد أكمة وجعل يشتمهم ، فلما رجع إلى قومه سألوه عن ماله فقال : أوسعتهم سباً [١] وأودَوا بالإبل [٢] . يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

١٨٠ — اللثغة

قال على [٣] بن هرون المنجم : كنت وأنا صبي لا أقيم الراء فى كلامى وأجعلها غيناً ، فدخل المفضل بن سلمة على أبى وأنا بحضرته ، فتكلمت بشىء فيه راء ، فلثغتُ فيها [٤] فقال له الرجل : ياسيدى ، لمَ تدع ابنك يتكلم هكذا ؟ فقال له : وما أصنع وهو ألثغ ؟ [١] فقال له : إن اللُّثغة لانصح مع سلامة الجارحة ، وإنما هى عادة سوء تسبق إلى الصبى أول ما يتكلم بتحقيق الألفاظ أو سماعه شيئاً يحتذيه ، فان تُرك على مايستصحبه من ذلك مرن عليه ، فصار له طبعاً ، وإن أخذ بتركه أول نشوئه استقام لسانه . وأنا أزيل هذا عن علىّ ثم قال لى : أخرجْ لسانك فأخرجته فتأمله فقال : الجارحة صحيحة ، قل يابنى : (راء) واجعل لسانك فى سقف حلقك ، ففعلت ، فلم يستوِ لى ، فما زال ينقل لسانى إلى موضع موضع من فمى ، ويأمرنى أن أقول الراء فيه ، فاذا لم يستو نقل لسانى إلى موضع آخر حتى قلت راء صحيحة فى بعض تلك المواضع ، فطالبنى بإعادتها ، وألزمنى ذلك حتى ذهبت اللثغة ، فأمر أن أطالب بهذا أبداً ، ويُتقدم به إلى معلمى ، وأوخذ بالكلام به ، ففعل ذلك ، ومرنت عليه ، وما لثغت إلى الآن .

١٨١ — كلهم أعداء

قال ابن الجوزى : مر رجل بإمام يصلى بقوم فقرأ : « آلم ، غُـلبت الترك » فلما فرغ قال له محمد بن خلف : ياهذا ، إنما هو (غُلبت الروم)

فقال : كلهم أعداء ، لا نبالى من ذكر منهم .

١٨٢ — ليس التكحل فى العينين كالكحل

فى كتاب (الأنساب) للبلاذُرى المدائنى قال : كان عبد الله ابن الزبير يشمّر إزاره ، ويحمل الدِّرَّة ، يتشبه بعمر بن الخطاب فقال أبو حرة :

لم نرَ من سيرة الفاروق عندكم
غير الإزار وغير الدِّرَّةِ الخلَقِ [٢]

---

(١) أوسعته الشىء إذا جعلته يسعه ، والمعنى كثرته حتى وسعه فهو يقول كثرت سبهم فلم أدع منه شيئاً (الميدانى)

(٢) أودى به : ذهب

(٣) أخبارى ، أديب ، شاعر ، متكلم . وفاته سنة (٣٥٢)

(٤) اللثغة تكون فى غير الراء أيضاً

(١) بعضهم فى حكاية الألثغ :

تشغب الشكغ الحغام وغيق ... أحغ سكغ شغاب مكغغ

يريد :

تشرب السكر الحرام وريق ... أحر سكر شراب مكرر

(٢) الدرة : السوط ، التهذيب : الدرة درة السلطان التى يضرب بها . (الخلق) البالية . شىء خلق : بال ، الذكر والأنثى فيه سواء لأنه فى الأصل مصدر ، والجمع خلقان وأخلاق . ويقال : ثوب أخلاق إذا كانت الخلوقة فيه كله

١٨٣ — كأنها رءوس رجال حلقت في المواسم

قال الأغر النهشلي لابنه لما بعثه لحضور ما وقع بين قومه : ابنيّ ، كن يداً لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسفيه فإنه ظلُّ الموت ، واتق الرمحَ فإنه رِشاء[١] المنية ، ولا تقرب السهام فإنها رسل تعصى وتطيع

قال : فبم أقاتل ؟

قال : بما قال الشاعر :

جلاميدُ أملاء الأكفّ كأنها
رءوسُ رجالٍ حُلِّقتْ في المواسم[٢]

فعليك بها ، وألصقها بالأعقاب[٣] والسوق

١٨٤ — فالدب في الصحراء ما أفقهه

ناظر أبو زيد عبدُ الله بن عمر الدبوسي[٤] بعض الفقهاء فكان كلما ألزمه أبو زيد إلزاماً تبسم أو ضحك فأنشد أبو زيد :

مالي إذا ألزمتهُ حجةً   قابلني بالضحك والقهقههْ
إن كان ضحك المرء من فِقهه   فالدب في الصحراء ما أفقهه![٥]

١٨٥ — يا مسكين أين أنت ؟

ذكر الحافظ السلفي في (معجم السفر) : أن شخصاً قال في مجلس الامام ابن القابسي (وهو بالقيروان) : ما أقصر المتنبي في معنى قوله :

يُراد من القلب نسيانُكم   وتأبى الطباع على الناقلِ[٦]

فقال له : يا مسكين ، أين أنت من قوله تعالى: « لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ؛ ولَكِنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُون »

(١) الرشاء: الحبل والجمع أرشية
(٢) أملاء : جمع ملء
(٣) جمع عقب : مؤخر القدم ، والسوق جمع الساق
(٤) نسبة إلى دبوسية وهي بلدة بين بخارا وسمرقند . والدبوسي أول من وضع علم الخلاف
(٥) يخبر بالجملة مطلقاً وفي كتاب الله : (قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم) والعكبري في (إعراب القرآن) يراه مستأنفاً أو حالا . وهم النحاة . . .
وفي شعرهم :

قلب من عيل صبره كيف يسلو   صالياً نار لوعة وغرام

(٦) وقبله وهو مطلع القصيدة :

إلام طماعية العاذل ؟   ولا رأي في الحب للعاقل

١٨٦ — أبو تمام ، البحتري ، المتنبي

في (المثل السائر) : سُئل الرضي عن أبي تمام ، وعن البحتري ، وعن أبي الطيب فقال : أبو تمام خطيبُ منبر ، والبحتري واصف جُؤْذُر[١] ، والمتنبي قائد عسكر

١٨٧ — التخصص بمعرفة التلصص

قال الثعالبي : سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : أنشدني الصاحب نتفة له ، منها هذا البيت :

لئن هو لم يكفف عقارب صدغه   فقولوا له : يسمح بترياق ريقه[٢]

فاستحسنتُه جداً حتى حمت من حسدي عليه ، ووددت لو أنه لي بألف بيت من شعري ! . قال الثعالبي : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي هذا البيت ، وحكيت هذه الحكاية في المذاكرة ، فقال لي : أتعرف من أين سرق الصاحب معنى هذا البيت ؟ فقلت : لا والله . قال: انما سرقه من قول القائل (ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ) :

لدغت عينك قلبي   إنما عينك عقربْ
لكنَّ المصة من   ريقك ترياق مجربْ

فقلت: لله در مولانا الأمير فقد أوتي حظا كثيراً من التخصص بمعرفة التلصص ...

(١) فيها لغات منها هذا (ضم الجيم وهمزة ساكنة ، وضم الذال) ، ومنها فتح الذال ، ومنها على مثال كوثر . والعرب تشبه به وبأمه لأجل عيونهما . . .
(٢) الرواية (لئن) وترجيح الشرط على القسم عند اجتماعهما وتقدم القسم وإن لم يتقدم ذو خبر – قليل . وبيت فيه عقرب بل عقارب لا يحمد صاحبه . والنكتة في (النتفة) معرفة التخصص بالتلصص .

من الأدب الرمزي

في الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

احتفلت الطبيعة لعيني العاشقة ، فحشدت أطفالها جميعاً ، ووقفت تناجيني بهم ، وأبرزت نهودها من جبالها ، وأرسلت شعرها من حورها ، ورقرقت خدها بماء النبع ، وموهته بدم الشفق ، وكللت جبينها بالزهر المضفور ، ومشقت قدها في رقص السرو ؛ وخرجت علي بملء الضحى السابغ ضياء وملء الليل الساجي نجوما ، ومشت تتهادى على الحصى الملون ، وتخطو على الجدد البيض والحمر ، وأخذت تغازلني بالنسيم الذي استروحت فيه برد قلبها لحر قلبي ... فسجدت أمامها بجسدي كله على الشوك والحصى في رحضن صخرة مشرفة على هوة . . ! وقلت لها : هل أنا إلا منك ياذات الشباب المتجدد أبداً ؟ يا أيتها الأم الولود الأكول الضاحكة المعولة . . . ياذات البطن البراح الذي مما فيه البحر والديموم بعجائبهما وولائدهما . . . يا ذات الأثداء التي تدر وتمتص . . !

سأرتد إليك وأجرد نفسي من شعور الانفصال عنك ، وأقف في صفوف أطفالك صورة من صور الجمال أو القبح كما تشائين .. وسأطلق أنفاسي موجة في هبوات الريح ، وأصواتي نغمة في النشيد الكبير الذي يملأ أسماع السموات والأرض . . وخطفات ذهني مع ومضات البروق . وسأضع جسدي لبنة في البناء العام كالجبل والحصى الموضوع تحت السقف المرفوع . .

إني أخ كبير لأبنائك الذين تلدينهم مع ساعات الصباح والمساء ، أتلقفهم بعيني هاتين اللتين فيهما الإعجاب والرحمة للجمال والقبح ! عيني اللتين وراءهما قلب خلقه الله أوسع منك وأعجب وأكثر ولادة . . . إنه يلد كل أبنائك ولادة ثانية بمخاضها ورضاعها وفصالها ! ثم لا يرسلهم وينساهم فانين ضائعين كما تفعلين .. بل يبقيهم كلمات تامة دائمة مسجلة في اللوح المحفوظ ...

فاسأليهم .. اسألي الورد والشوك ، والحمل والذئب ، والورقاء والرقطاء ، والغراب والعصفور ، والنحلة والجعل ، وسائر ما تلدين من الأعلى والأدنى : ألست أوالي عليهم نظرتي وفكرتي ؟

واسألي الشمس والنجوم : ألا أسافر معها سفراً غير زمني فلا أيام فيه ولا ليالي . !

واسألي النهار : ألا أغتسل بأول قطرة من ضياء فجره إلى آخر قطرة من شفق غروبه ، وأسير معه في موكب الحياة العام أدب بقدمي على قارعة الطريق الممدود من أول الدنيا إلى آخرها . . ؟

واسألي الليل : ألا أجلس فيه متيقظاً أسترق السمع وألتقط الكلمات الخفية التي ينثرها في غفلة على الأجساد الهاجعة في موتتها الصغرى ؟

واسألي البحر : ألا أسلم إلى عرائس موجه جسدي يعبثن به ، وأملأ بصري بأفقه ولجه وزبده ، وسمعي بضجيجه وصخبه ، ويدي بقواقعه وأصدافه ؛ وأتوسع كثيراً كثيراً حتى أغطيه بروحي وأشربه بكأسي التي وراء حسي ؟

واسألي الصحراء : ألا أقف في محرابها الأصفر ، وأمسح عضلات جبالها التي أعياها الوقوف ، وأرقد قلبي على مهادها بجانب ذراتها الجامدة وأشواكها الحادة ؟

فيا أيتها الأم إني غير عاق في البنوة بيني وبينك ، والأخوة لأبنائك جميعاً مما علا أو سفل فأسبغي علي من شبابك الدائم ، واكشفي لي عن محاسنك المكنونة ، وعبقرياتك المضنون بها على غير أهلها ، وزاوجي بيني وبين بناتك العرائس الأبكار اللائي لم يطمثهن إنس قبلي ولا جان ... واسكبي في قلبي من ذاك الاكسير الخالد الذي يجعلك دائماً أصبى من أولادك ؛ ولا تأكليني. فيما تأكلين من بنيك أيتها الهرة ... !

* * *

وحينما تغضبين أيتها الأم ، فتزأرين بحناجر الريح ، وتحطمين أبناءك بالقارعات العاتية ... وتثور أخلاطك فتقذفين الحمم والشواظ واليحموم من تحت ، والصواعق وحرائق البروق وجبال الثلوج من فوق ، وتنفضين ما على الأرض بالزلازل والميدان ، فلا يسلم من يدك بعوضة ولا جمل ... وتفتحين فكيك لابتلاع الحقول بعشبها وشجرها ، والمدن بمدرها ووبرها فتسدين الفجوات التي خلت في أحشائك ، وتشبعين

بوعك إلى العناصر بأكل أبنائك الذين يضجون وهم فى الهول
ن بديك بالثناء والرغاء ، والزئير والطنين ، والهديل والنعيب ،
غيرها من أصوات الحيوان الأبكم . وبالدعاء والبكاء من الحيوان
ناطق : ابنك البكر الذى دلّلته وعزّزته وأعطيته مصباحا
مفتاحا زعم بهما أنه إلـهك ! وجعل قضيتك كلها « معادلة
جبرية » فى نصف سطر من قلمه العجيب الذى يجعل الدنيا كلمات
أرقاما ... ! حينذاك أحاول أيضاً أن أقترب منك فى غضبك
رى عبقرية الإماتة والتخريب فيك كما رأيت إبداع الايجاد
التكوين ، ولأرى الدنيا صوراً من القبح والبشاعة والقسوة
الفوضى كما رأيتها صوراً من الجمال والانسجام والنظام ...

* * *

ولكنك تحتجبين عنا حين تبدلين الثياب لتخفي عوراتك
سوآتك وشناعاتك ، فتقتلين كل ذى عين حتى لا يراك فيقسم
لا يقترب ولا يمشق ولا يفنى فى مظاهر خداعك وطلاء حقيقتك ،
وسلين نارك التى تحرق دائما ، وماءك الذى يغرق دائماً ، وقوارعك
ى تحطم دائماً . . . فلا مطمع لأحبابك فى رشوتك بالحب
الشعر ، ولا محسوبية ولا شفاعة أمام قوانينك الصارمة . !

* * *

وهأنذا أبحث عن حرز حريز فيما وراء يدك المخربة ، أخط
ه قبرى وأختبىء فيه وأرصد منه دائماً حركة التجدد ورجوع
شباب والجمال إلى ديباجتك ، واحتفالك لغير عينى من عيون
شباب الشعراء المقبلين . . . وهم يسكبون فى سمعك ما أسكبه
آن من كلمات الهوى والغزل .. ويقولون لك : « ياذات الشباب
تجدد . . اسبغى علينا من شبابك وأرضعينا يا أمنا من إكسير
لخلد . . . » فأناديهم من مكانى البعيد الذى لا سلطان لك عليه
ئلا : أيها الطامعون فى الخلود مع هذه العجوز المتجددة ...
تطمعوا أن تعطيكم ما بخلت به على من قبلكم من بنيها ... إنها
تسمح لأحد بالبقاء الكثير حتى لا يحتويها ويكفر بجمالها ، فابحثوا
ن مثل هـذا المكان الحرير الذى أناديكم منه ... واقنعوا أن
كون حظ أحدكم منها قبراً معلوماً فى القبور ، يقف أمامه أبناؤها
لاحقون ويشيرون إليه قائلين : هنا يرقد قلب شاعر عرف أمنا
بكان يشترى فيها الحبر بالذهب ... فاسكبوا على قبره كأساً منه..!

عبد المنعم خلاف

أطفال الطبيعة

للأستاذ محمد عبد اللطيف السحرتي

لم تكن إلا زقزقة العصافير تطوف بأثير نفسى ، وأنا عائد إلى البلدة فى طريق الحبيب الذى تحتضنه أشجار الكافور الخضراء الفارعة — لم يكن أعذب لنفسى من زقزقة تلك العصافير التى مازجت أصواتها أحلامى ، وأنعشت ألحانها إلهامى — فى هذه الساعة السعيدة طابت أحلامى ، ونَبُل حديثي مع نفسى ، ولم يكن يهزني إلا مرأى الفلاحين المساكين ، وهم يكدحون حول الوادى فى صبر وقناعة وأحلام مضطربة ... ثم تعاودنى أصوات العصافير فتمحى مادوم بنفسى من هزات الأسى ، وتنقل إلى شعورها الفرح ، وتبعث فىّ سعادتها البريئة .

يا إلـهي ، لكأنك خلقت العصافير للطبيعة أطفالاً كما خلقت للناس أطفالهم ! وشتان بين أطفالها وأطفالنا ! فأطفالها فى طفولة خالدة ، وأطفالنا بعد عمر قصير يكبرون ، فتنداح براءتهم وتنمحى شفافة نفوسهم !

هؤلاء الأطفال الخالدون يُنَبِّلونَ انفعالاتنا ، ويطهرون نفوسنا من هموم الأعمال اليومية ، ويخلقون لنا جواً روحياً ساجياً ينعم فى بحبوحته الأدباء والشعراء ، ويلقون علينا دروساً روحية ثمينة . ولقد ألقت علىَّ عصفورة درساً خلقياً بليغاً ، وأنا فى حديقة « مونسو » البديعة بباريس ، عند ما كنت ألقى لها فتات الخبز ، فكانت وهى تتناوله تنادى أخواتها لتشاطرها الغذاء ، وهذا درس فى الايثار يلقيه علينا هؤلاء الأطفال الكرام

ولكم أحب الأدباء هؤلاء الأطفال الأعزة ، ومن بين هؤلاء الأديب الفرنسى كوبيه فى قطعته « موت العصافير » التى يُظهرُ فيها إشفاقه عليها ويبدي تخوفه من مفاجأة الموت لها فى الشتاء ، ويسائل فى انفعال وهزة : « هل العصافير تختفى لتموت ؟ » .

والذى نعلم أن العصافير تختفى فى مكان أمين ، وأنها في الجو الطليق تجد أماناً من الموت ولا تخشاه ، وإنما هى تخشى الانسان ، وهى إذ تمرح فى أمن وإيمان ، وتحمل الغذاء فى كل مكان ، وتستقبل الشمس فى الصباح وتودعها فى الغروب ، إنما تحمل للانسان رسالة الفرح والبراءة والجمال ، والحياة الطويلة ، إن لم أقل الخالدة !

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

رأيتني هجرت الحياة واخترت مهنة حارس للقبور على الجبل المقفر حيث يرتفع قصر الموت، فكنت أحرس النعوش وهي أسلاب النصر تغص بها الدهاليز المظلمة، فكنت أرى الساقطين في معترك الحياة المسجين في التوابيت المغطاة بالزجاج يحدجونني بنظراتهم المروعة. وهنالك تشقت عرف الأبدية غباراً يتطاير على روحي فيرهقها ولا أستطيع أن أنفض عنها هذا الغبار الثقيل

وكانت أصداء الليل تدور بي ومعها شبح العزلة والانفراد، فكان رفيقي سكون الموت تتعالى فيه من حين إلى حين حشرجة المدفنين

وكنت أحمل المفاتيح وقد علاها الصدأ أعالج بها أصلب الأبواب فتصرف مصاريعها بصراخ أبح لئيم يذهب مدوياً في الدهاليز كأن الدرفات أجنحة تقبضها أطيار تنعق متململة ممن يريد تنبيهها من رقادها

وعندما كان يخيم السكوت بعد هذا الدوي كان يبلغ رعبي أشده فأبقى وحدي محاطاً بهذا الصمت الرهيب

ومر الزمان متمهلاً، لو صح أن في مثل هذه الرؤى زمان، إلى أن وقع ما أفقت له مذعوراً.

قرع الباب ثلاث مرات بدوي كأنه الرعد القاصف، فهتفت الدهاليز ثلاث مرات بصدى كأنه الزئير، وتقدمت إلى القفل أعالجه فلم يتزحزح قيد أنملة، وهبت العاصفة بشدة فدفعت بالمصراعين ورمت إليّ بنعش أسود وقد تصدع الهواء بالصفير والولولة وسقط النعش فانحطم وخرجت منه آلاف من القهقهات، فرأيت آلافاً من الأطفال والملائكة وطيور البوم والمجانين والفراشات الضخمة يطفرون حولي ساخرين

واستولى الخوف عليّ فإذا أنا مطروح على الأرض أصرخ صراخاً مريعاً فانتبهت لصوتي مذعوراً.

وسكت زارا لحظة وهو حائر فإذا بأحب أتباعه إليه ينهض ويقبض على يده قائلاً: « إن تعبير رؤياك إنما هو في حياتك نفسها يا زارا. أفليست أنت النعش وقد حشدت الحياة فيه سيئاتها وعبوس ملائكتها؟ أفليس زارا يجتاح اللحود مقهقهاً كالأطفال ساخراً بالساهرين على القبور الخافرين لها، مستهزئاً بكل من تقرقع المفاتيح في أيديهم.

لسوف يذعر هؤلاء الناس منك فيطرحهم ضحكك أرضاً فيغمى عليهم ثم ينتبهون وبذلك يثبت عليهم سلطانك.

لقد أطلعت لنا كواكب جديدة في الآفاق ونشرت من الليل ما كنا نجهله من البهاء. والحق انك مددت ضحكك فوق رؤوسنا فأظلنا بعديد ألوانه. فمنذ الآن ستتعالى قهقهة الأطفال من النعوش وستعصف من الجهود القاتلة الريح التي تتوقعها.

لقد مثّلت نفسك أعداءك فأزعجتك رؤياك، ولكنك انتبهت منسلخاً عنهم وعدت إلى روعك، وهم أيضاً سينتبهون فيرجعون إليك.

هكذا تكلم التابع، فدار سائر الأتباع بزارا يشدون على يديه محاولين اقناعه بالنهوض من فراشه والانسلاخ عن أحزانه ليعود إليهم، غير أن زارا بقي جالساً على فراشه وعيناه جاحظتان كأنه عائد من سفر بعيد لا يعرف ممن حوله أحداً، ولكن أتباعه رفعوه وأوقفوه فانتبه فجأة وتغيرت سحنته فمد يده يداعب شعر لحيته ورفع عقيرته قائلا:

— كل هذا سيكون عند ما يحين زمانه. فأعدوا لنا غذاء طيباً الآن لأكفر عن الرؤيا التي رأيت؛ غير أن العراف سيجلس إلى جنبي ليأكل ويشرب معي وسأريه بحراً يغرق فيه نفسه

هكذا تكلم زارا ...

ولكنه حدق في وجه تابعه الذي عبر له حلمه، حدق به طويلا وهو يهز رأسه ...

الضراء

وسار زارا يوماً على الجسر فأحاط به رهط من أهل العاهات والمتسولين وتقدم إليه أحدب يقول له:

— التفت إلى الشعب يا زارا فهو أيضاً يستفيد من تعاليمك وقد بدأ يؤمن بسنتك. ولكن الشعب بحاجة إلى أمر واحد ليتوطد إيمانه بك: عليك يا زارا أن تتوصل إلى إقناعنا نحن أهل العاهات. وأمامك الآن نخبة منهم وما لك بعد مثل هذه الفرصة تنتهزها لتقوم باختبارك على مثل هذا العدد من الرؤوس. بوسعك الآن أن تشفي العميان والمقعدين فتخفف الأثقال، وتريح المتعبين.

تلك هي الطريقة المثلى لهداية هؤلاء القوم إلى الايمان بزارا

فأجاب زارا:

— من يرفع عن ظهر الأحدب حدبته فقد نزع منه ذكاءه. هذه هي تعاليم الشعب . وإذا أعيد النور إلى عيني الأعمى فانه يرى على الأرض كثيراً من قبيح الأشياء فيلعن من سبب شفاءه . ومن يطلق رجل الأعرج من قيدها فانه يورثه أذية كبرى إذ لا يكاد يسير ركضاً حتى تتحكم فيه رذائله فتدفعه إلى غاياتها . هذه هي التعاليم التي ينشرها الشعب . وهل على زارا إلا أن يأخذ عن الشعب ما أخذه الشعب عنه ؟

غير أنني منذ نزلت بين الناس سهل على أن أرى منهم من نقصه عين ، ومن تنقصه أذن ، وآخر فقد رجليه ؛ وهنالك من فقدوا لسانهم أو أنفهم أو رأسهم .

وهكذا رأيت أقبح الأمور . وهنالك أشياء أشد قبحاً مما ذكرت لا يسعني ذكرها فما يصعب عليّ سكوت عن أكثرها .

رأيت رجالا فقدوا كل شيء ، غير أنهم يملكون شيئاً يسوده الافراط ، فهم رجال كأنهم عين عظيمة أو فم واسع أو بطن كبير أو عضو آخر كبير لاغير . وما هؤلاء الناس إلا أهل العاهات المكوسة

وعندما عدت من عزلتي لأجتاز هذا الجسر للمرة الأولى وقفت مندهشاً لا أصدق ما أرى فقلت : هذه أذن ، أذن وسيعة كأنها قامة رجل ؛ وتقدمت إليها فلاح لي وراءها شيء صغير لم يزل يتحرك وهو ناحل ضعيف يستدعي الاشفاق ، فان الأذن الكبرى كانت قائمة على ساق دقيق . وما كانت هذه الساق إلا إنساناً. ولو أنك تفرست في هذا الشيء بنظارة لرأيت فوقه وجهاً يتقطب الحسد وينم عن روح صغيرة تريد الانتفاخ وترتجف على قاعدتها .

وقال لي الشعب : إن هذه الأذن ليست رجلا فحسب ، بل هي أيضاً رجل عظيم بل عبقري من عباقرة الزمان . غير أني ماصدقت الشعب يوماً إذا هو تكلم عن عظماء الرجال ، فاحتفظت بعقيدتي وهي أن هذا الرجل ذو عاهة معكوسة إذ ليس له إلا القليل من كل شيء والكثير من شيء واحد .

وبعد أن وجه زارا هـذا الخطاب إلى الأحدب ومن تكلم بالوكالة عنهم اتجه نحو أتباعه وقد تحكم الـكدر فيه فقال :

والحق أنني أسير بين الناس كأنني أمشي بين أنقاض وأعضاء منثورة عن أجسادها . وذلك أفظع ما تقع عليه عيناى فانني أرى أشلاء مقطعة كأنها بقايا مجزرة هائلة . وإذا ما لجأت عيني إلى الماضي هاربة من الحاضر فانها لتصدم بالمشهد نفسه . فهنالك أيضاً أنقاض وأعضاء أشلاء وحادثات مروعة ، ولـكنني لا أرى رجالا ...

إن أشد ما يقع على أيها الصحاب إنما هو الحاضر والماضي وما كنت لأطيق الحيـاة لو لم أكن مستكشفاً ما لابد من وقوعه في آتي الزمان ، وما زارا إلا باصرة تخترق الغيب فهو رجل العزم وهو المبدع ، هو المستقبل والمعبر المؤدي إلى المستقبل ، هو وا أسفاه ذو عاهة ينتصب على هذا المعبر .

وأنتم أيضاً تتساءلون مراراً : من هو زارا ؟ وبماذا نسميه ؟ فلا تتلقون غير السؤال جواباً كما أتلقاه أنا .

أهو من يَعِدُ أم من ينفـذ الوعد ؟ أهو فاتح أم وريث أهو الطبيب أم هو الناقه ؟

أشاعر هو أم حقيقة ؟ أمحرر أم متسلط ؟ أصالح أم شريرٌ ؟

ما أنا إلا سائر بين الناس قطعاً من المسـتقبل الذي يتراءى لبصيرتي ، وجميع أفكاري تتجه إلى جمع وتوحيد كل متفرق على أسرار ومبدد على الصدف العمياء .

وما كنت لأحتمل أن أكون إنساناً لو أن الانسان لم يكن شاعراً محللاً للأسرار ومفتـدياً لإخوانه من ظلم ما تسمونه صدفة ودهراً . وما الفداء إلا في إنقاذ من ذهبوا ، وتحويل كل ما كان إلى ما أريد أن يكون .

ما المخلص والمبشر بالغبطة إلا الارادة نفسها وهذا ما أعلمكم إياه يا أصحابي ، ولـكن اعلموا أيضاً أن هذه الارادة لم تزل سجينة مقيدة.

إن الارادة تنقذ ، ولـكن ما هي القوة التي تقيد المنقذ نفسه ؟

إن داء الارادة الوحيد إنما هو كلمة « قد كان » تقف الارادة أمامها تحرق الأرّم عاجزة عن النيل كل ما كان ، فالارادة تنظر بعين الشر إلى كل ما فات وليس لها أن تدفع بقوتها إلى الوراء ، فهي أضعف من أن تحطم الزمان ومايريده الزمان ، وهذا داء الارادة الدفين

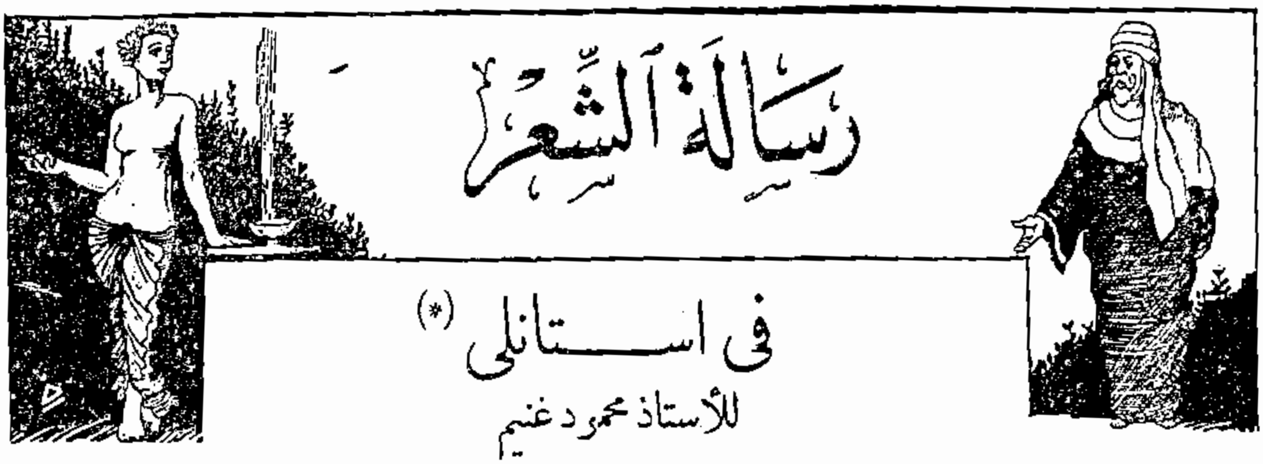
إن الارادة تنقذ ، ولـكن ما هو تصور الارادة في عملها للتخلص من دائها وهدم جدران سجنها ؟

وا أسفاه ! إن كل سجين يصبح مجنوناً ، وما تنقذ الارادة السجينة نفسها إلا بالجنون .

إن الزمان لا يعود أدراجه . ذلك ما يثير غضب الارادة وكيدها فهنالك صخر لا طاقة للارادة برفعه ، وهذا الصخر إنمـا هو الأمر الواقع .

هكذا تكلم زارا ....

فليكس فارس



في استانلي (*)

للأستاذ محمود غنيم

كلُّ شيء في الصيف يشكو الخمودا ... وأرى البحرَ وحدَه في نشاطِ
قذف البحرُ درَّهُ المنضودَا ... أرأيت الجُمانَ فوق الشاطي ؟

***

ياخليليَّ أين أينَ الرداء ؟ ... أنا مالي بكلِّ ذاكَ يَدانِ
ذاكَ ماء أمْ هذه كهرباء ... أمْ لهذا الخليجِ تيَّارانِ ؟

***

أنا أخشى عوارىَ الأجسادِ ... لستُ أخشى العُبابَ والأعصارَا
يصرعُ الموجَ ساعدي وفؤادي ... خائرٌ واهنٌ أمامَ العذارىَ

***

رفعوا في الزوابع الأعلامَا ... يُنْذِرونَ الأنامَ بالأخطارِ
نكَّسوها ثم ارفعوها إذاما ... لاح سربٌ من الأوانسِ عارِ

***

أعوارٍ تلك الدُّمَى أم كواسي ... بلباسٍ يفصِّل الأجساماَ ؟
لاوقاه اللهُ البلى من لباسِ ... إنه كان واشياً نمَّاماَ

***

صاحِ ماذا رأيتُ حولَ الماءِ ... أهوَ سِربٌ من الحمائمِ ظامِ ؟
طيَّبَ اللهُ خاطرَ الصحراءِ ... أصبح البحرُ مرتعَ الآرامِ

***

ها هنا لؤلؤٌ بغيرِ محارِ ... سابحٌ باحثٌ عن الغوَّاصِ
وظباءٌ لم تدرِ معنى النِّفارِ ... تضعُ السهمَ في يد القنَّاصِ

***

أنظر الشمسَ والهوى والهواء ... كيف راحت تنسابُ في الأجسامِ
إن للشمس والهواء شفاءً ... لايساوي ماللهوى من سقامِ

***

رُبَّ ثغرٍ يداعبُ الأمواجاَ ... ينثُر الماءَ كاللُّجين المُذابِ
تشتهيه النفوسُ ملحاً أُجاجاَ ... خارجاً من بين الثنايا العِذابِ

***

رُبَّ ساقين غاصتا في الماءِ ... كلُجينٍ ينسابُ وسْطَ لُجينِ
بدتا آيتينِ في الإغراءِ ... وهما فيه نصفُ عاريتينِ

***

إن فوق الرمالِ غيداً نياماً ... كالأفاعي : لينٌ بغير عظامِ
ليس سُمًّا لعابُها بل مُداماً ... هو بُرْءُ السقيمِ ، رِيُّ الظَّامِ

***

قال جاري : ألاتكونُ رزيناً ؟ ... قلت : لاتلحني ، فقدتك جارَا
وتلفتُّ يَسْرَةً ويميناً ... قال: ماذا أضعت؟ قلت: الوقارَا

***

أيها المشتكي من الإقلالِ ... متِّعِ النفس بالجمال متاعَا
لم يُبيحوا لنا شيُوعَ المالِ ... وأباحوا لنا الجمالَ مُشاعَا

***

صاحِ قل لي: مابالُ تلك الصدورِ ... كَشفُها لايحلُّ للأحداقِ ؟
ليتهم حرَّموا ذواتِ[1] الشعورِ ... فهْي عندي مثل القذى في المآقِ

***

لاتضيقوا بالمعصمِ المكشوفِ ... وتقولوا : خيرُ الجمالِ المصونْ
ماغناءُ الشذى بغير أنوفِ ؟ ... قيمةُ الحسنِ أن تراه العيونْ

***

لاتقولوا : قد غاض ماءُ الحياءِ ... واقرأوا الآيَ في وجوه الحسانِ
رُبَّ عضوٍ من هذه الأعضاءِ ... نمَّ عن سرِّ قدرة الرحمنِ

(*) من شواطئ الاستحمام في الاسكندرية

(١) يقصد صدور الرجال

وحي جديد . . .

إلى ذات الوجه الأسمر

هذه السُّمْرةُ العجيبةُ ، ماذا   راح يُغْرِي بوصفها تبياني ؟ .
أين شعري منها ، وأين خيالي   هي فوق الخيال والأوزانِ
رُبَّ معنى توحي به لم يحوِّمْ   حوله شاعرٌ مدى الأزمانِ
أنا منها في مهبط الوحي ، لكن   عقدَ الحبُّ في ذَراها لساني
غير أني مُسْتَلْهِمٌ سحرَ عينيك م   المعاني ، ويالها من مَعانِ
لا تَغُضِّي عني جفونَكِ حتى   أتلقَّى عنهنَّ آي افتناني
أسعديني بنظرةٍ منكِ تَشْفِي   غُلّةَ الصدرِ من شَجِيٍّ عانِ
وَهَبي لي سويعةً من وصالٍ   بعد عمرٍ قضيتُ في حرمانِ
أتيحي لناظريَّ متاعاً . . .   عبقرياً من حسنك الفتّانِ
ضجعي رأسكِ الصغيرَ على صدري وأصغي لهذه الألحانِ
دَعيني أسكبْ بأذنيك أنغا   م جريحٍ شدا على الأغصانِ
لا تشيحي عني بوجهٍ أفدّيه   بدنيا من باسمات الأماني . !

(القاهرة)   أحمد فتحي

يها الآسفُ الحزينُ الباكي   إبكِ ماشئتَ ضيعةَ الأخلاقِ
ـب إنِ اسْطعْتَ دورةَ الأفلاكِ   أو فَكِلْ أمرَ الخلق للخلّاق

* * *

يا هنا أعشقُ اللاحةَ صِرْفاً   ما عليها من الثياب غِشاء
يا هنا ليس يعرف الكحلُ طرفاً   لا ولا يغمرُ الخدودَ طِلاء

* * *

يا هنا روعةُ الطبيعة تبدُو   فتراها عذراء بين العذارى
نظر البحرَ وهو جزر ومدٌّ   وانظر الشمس فيه إذ تتواري

* * *

يها البحرُ قد نزلتُك ضيفاً   فكأني أغرقتُ فيك همومي
ت عمْري جميعَهُ كان صيفاً   ينقضي فوق شطِّ بحر الرُّومِ

« الاسكندرية »   محمود غنيم

من صور الطريق

الأعمى . .

هَذِهِ السَّيْرُ ، وَأَضْواءُ المَطَافُ   فَتولَّتْ هَدْيَهُ الخُمْسُ اللِّطَافُ[1]
وَاهِنُ الخطْوَةِ لَمْ تَنْهَضْ بِهِ   مِنْ عَيَاءِ الجِسْمِ أَطْرَافٌ ضِعَافُ
رَاعَنِي مِنْهُ جَبِينٌ شَاحِبٌ   كَجَبِينِ الزَّهْرِ أَذْوَاهُ القِطَافُ
وَيَدٌ مِنْ حَوْلِهِ حَائِرَةٌ   دَأْبُها فِي السَّيْرِ خَفْقٌ وَارْتِجَافُ
رَهْنُ كُمِّيْهِ السَّنَا لَـكِنَّمَا   دُونَ عَيْنَيْهِ حِجَابٌ وَسِجَافُ
مَنْ رَأَى الظَّمْآنَ يَرْجُو رَشْفَةً   وَعَلَى جَنْبَيْهِ رِيٌّ وَارْتِشَافُ ؟
أَوْ غَرِيقاً عَاجِزاً فِي مَوْجِهِ   وَعَلَى مَرْمَى ذِرَاعَيْنِ الضِّفَافُ ؟

* * *

... يَامُطِيفاً لاَ تَنِي عَزْمَتُهُ ...   أَيْنَ يَرْسُو بِكَ فِي الأَرْضِ الطَّوَافُ
رَنَّحَتْ عِطْفَيْكَ أَوْصَابُ الضَّنَى   مِثْلَمَا رَنَّحَتْ العِطْفَ السُّلاَفُ
وَشَغَافُ القَلْبِ أَذْوَاهُ الأَسَى   فَذَوَى مِنْ طُولِ مَا يَلْقَى الشِّغَافُ
حَوْلَكَ النَّاسُ جُمُوعٌ حُشِدَتْ   وَلَهُمْ عَنْكَ بِعَادٌ وَانْصِرَافُ
لَمْ يُصَافُوا مَنْ خَلَتْ رَاحَتُهُ   وَاحْتَفُوا بِالرَّاحَةِ المَلأَى وَصَافُوا
فَامْضِ فِي شَأْنِكَ لاَ تَحْفِلْ بِهِمْ   أَتَجَافُوا عَنْكَ أَمْ لَمْ يَتَجَافُوا
لاَ تَرُجِّ النَّصْفَ ، أَوْ نَشْكُ الأَسَى   لَيْسَ بَيْنَ النَّاسِ عَدْلٌ وَانْتِصَافُ
أَرَأَيْتَ النِّضْوَ يَشْكُو دَاءَهُ   لِطَبِيبٍ طِبُّهُ سُمٌّ زُعَافُ

* * *

لَوْ أَتَاهُ النَّاسُ طُرّاً خُضَّعاً   وَافَتِ الدُّنْيَا بِنُعْمَاهَا وَوَافُوا
أَوْ سَعَى المَجْدُ إِلَيْهِ ، وَلَهُ   بِجَنَابَيْهِ اعْتِصَامٌ وَالْتِفَافُ
لَمْ يَجِدْ فِيهِ غِنًى عَنْ عَيْنِهِ   فَرَغَابُ المَجْدِ وَالدُّنْيَا زِيَافُ
قَسَماً لَوْ زُفَّتِ الدُّنْيَا لَهُ   فِي مَجَالِيهَا لَمَا أَجْدَى الزِّفَافُ
لَيْسَ يُغْنِي الزَّهْرَ فِي مَنْبَتِهِ   رَائِعُ الطَّلْعَةِ وَالجَوُّ جَفَافُ

« الاسكندرية »   أحمد فتحي مرسي

---

(١) يعني أصابع كفه الخمس واللطاف الدقاق . وقد استعملها العرب ومنها قول أبي تمام في وصف القلم :

إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت   عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت   لنجواه تقويض الخيام الجحافل



على سور (جينان[١])

للكاتب الصينى الشهير (بانغ مينغ شينغ)

ترجمة محمد مكين الصينى

لما رجع (هونغ سين) إلى المنزل قال لأخيه: «هل سمعت أن اليابانيين يريدون أن يحتلوا مدينة (جينان)؟»

فأخذ أخوه يشك فى وفاء جنود الصين وقال: «ألم يقاومهم جنودنا؟»

قال وهو يريد أن ينوه بكرامة جنود الصين وإخلاصهم: «بلى!»

فجعل أخوه يرتاب فى كفايتهم قائلا: «هل فى المدينة قوة كافية؟»

قال: «لا بد أن تسقط المدينة فى أيدى اليابانيين عاجلا أو آجلا! ولكن الواجب علينا أن ندافع عنها باذلين أقصى جهدنا، فإن خضعت لهم فى آخر الأمر قوتنا فلن تخضع لهم روحنا.» ثم رفع رأسه وأصلح بيده شعره.

فطفق أخوه يرتاب فى توازن القوتين المتحاربتين قائلا: «بلغنى أنه قد وصل إلى (جينان) خمسة آلاف من جنود اليابان.»

قال، وهو يتمشى في الغرفة: «اسمع! قد شرع اليابانيون يطلقون المدافع! لا يتوقف الانتصار على كثرة الجنود، فاذا اشتدت حمية قومنا وتطوع نصفهم للدفاع فلا تخش سوء العاقبة ولو...»

ثم توقف عن الكلام لأن قلم الرصاص الذى فى يد أخيه انكسر ونشأ عن ذلك فرقعة صغيرة، ووقف ينظر إلى أخيه بعين الريبة وسكت هنيهة ثم قال: «هل كتبت فى هذه الأيام إلى السيدة الوالدة؟»

قال أخوه: «لا. قد انقطعت المواصلات بين (جينان) و (تسينغ تاو)[١] منذ أيام كما علمت فلا يمكن أن يصل إليها الخطاب لو بعثت به.»

— «إذا لم يصلها خطاب منا فلا محالة يشتد اضطرابها. ولا أمل فى الدراسة هذا العام مع هذه الحالة، فان استطعت أن تعود إلى البلد مبكراً فعلت. إن السيدة الوالدة بعد وفاة السيد الوالد في حاجة إلى من يعولها، ويكفي أن يتطوع أحدنا للدفاع»

ولما سكت تأمل فيه أخوه شاكا فى أمره.

وقد أكثر من الكلام، وبعد أن دار في الغرفة دورتين جلس إلى مكتبه فأخذ كتاباً ينظر فيه كأنه يطالعه.

قد تتابعت فى ضواحى المدينة أصوات المدافع وارتفعت الصيحات داخل المدينة.

تذكر فجأة أمراً ما فوضع الكتاب على المكتب ورمق أخاه حزيناً كئيباً يقول: «شانغ سين!»

«مالك يا هونغ سين؟»

قال لأخيه بكل لطف: «إذهب إلى الآنسة «لوس» لعلها هي وأمها فى حال سيئة من الذعر»

فأومأ أخوه برأسه أن سمعاً وطاعة.

وبعد خمس دقائق جلجلت أصوات المدافع تتخللها فترات قصار، فقام أخوه يقصد الباب فصافحه قائلاً: «يا أخى!» وقد خالف فى ندائه هذا عادته فانه كان دائما يدعو أخاه باسمه فتلا بصره ببصر أخيه ثم قال: «إلى اللقاء!»

---

(١) (جينان) حاضرة مقاطعة (شانتونغ) شبت فيها حرب بين الصين واليابان سنة ١٩٢٨ إذ تقدمت جيوش الحكومة الحاضرة نحو بكين وحاولت اليابان منع تقدمها ثم عقدت الهدنة

(١) (تسينغ تاو) ميناء فى جنوب (شانتونغ) بينها وبين (جينان) سكة الحديد.

فنظر إليه أخوه نظرة المحزون المهموم وقال : « ألا تخرج الليلة فتكتب خطاباً إلى السيدة الوالدة ؟ »

فأشار برأسه أنه سيفعل ، وخرج أخوه ، وكان ذلك بعد الظهر .

وبعد المغرب أخذت أصوات المدافع تتكاثر وتتعالى في ضواحي المدينة، وارتفعت الصيحات بالويلات ؛ ولما كاد الليل ينتصف خفتت أصوات المدافع شيئاً فشيئاً وأخذت تقل ، وكان (هونغ سين) يتمشى في غرفته ويظن أن أخاه في منزل الآنسة (لوس) فدعا له بالأمن والسلامة ، ثم فتح خزانة الثياب وأخرج منها ثوباً من ثياب الألعاب الرياضية فلبسه ، وشد رباط حذائه ثم أقفل باب المنزل وخرج .

وكان القمر وهو في أيام التربيع الثاني ممتقعاً لونه معلقاً في جو الشرق تحيط به غيوم قاتمة كأنها تحاول أن تبتلعه .

وكانت الرصاصات وقنابل المدافع تتطاير هنا وهناك ، وأصوات البكاء والعويل تملأ أذنيه .

جعل يمشي في أقرب طريق إلى البوابة الغربية لسور المدينة : ولم يخطُ إلا خطوات قلائل حتى طارت قنبلة من فوق رأسه فوقعت على جدار بعض البيوت فملئت أذناه جلبة وضوضاء من تهدم الجدران يعقبه أصوات الفزع والصراخ والبكاء ؛ ثم عاد الجو بعد هنيهة إلى ما كان عليه من سكون وهدوء .

ولما اجتاز عدة شوارع رأى بيتاً تشتعل فيه النيران اشتعالا هائلا ، ورأى جماعة من الرجال والنساء ، منهم من يحمل على ظهره أمه الفانية ، ومنهم من يقود أباه الهرم ، ومنهم من تحمل على ذراعها رضيعها ، وهم يهيمون على وجوههم في الشوارع باكين صارخين لا يدرون إلى أين يلتجئون . وبيناهم كذلك إذا بقنبلة تسقط بينهم فانفجرت فملئ الجو صراخاً وأنيناً : أنين الذين يشرفون على الموت الزؤام ، فأغمض عينيه ومضى في سبيله قدماً بخطوات واسعة . ثم ارتبكت رجلاه فجأة ارتباكاً كاد يعثر منه ، فنظر إلى الأرض فاذا بجثة سيدة ملقاة على الثرى تبين في نور القمر أن قنبلة قد ذهبت باحدى رجليها وتركتها غارقة في دمائها البريئة ، وطفل لم يمض على ولادته حول كامل مكب على صدرها يرضعها

ولما بلغ جانب السور رأى نور القمر يسطع من بين الغيوم السوداء ، وشاهد كثيراً من جثث الجند مبعثرة على مسند السور هنا وهنالك يئن فيها من لم تزهق نفسه بعد ، فالتقط من الأرض بندقية وسلب إحدى الجثث كنانة الرصاص ثم أخذ يصعد على السور ، وما كاد ينتهي إلى شرفاته حتى تدحرجت جثة من فوق السور عثر فيها ثم نهض من عثرته على الفور ، ولما انتهى إلى الشرفات التفت يمنة ويسرة فوجد مسافة نيف وخمسين متراً خالية من حراسة الجند ، ثم أخرج رأسه من بين شرفتين ليعرف حالة العدو ، فطار نحوه الرصاص ومر بجانب أذنه ، فانسحب سريعاً وانتقل إلى ما بين الشرفتين الخامسة والسادسة من يساره ، وأخرج رأسه مرة أخرى فرأى بأشعة القمر بضعة عشر جندياً يابانياً يحاولون تسلق السور من هذا المكان الخالي من الحراسة ، بعضهم على أكتاف بعض ، فصوب بندقيته إلى أحدهم في الطبقة السفلى وأطلق عليه رصاصة فأصابته بالمصادفة فانهارت الطبقة السفلى وتدحرج الذين فوقها إلى الخندق كلهم أجمعون .

ولكن بعد هنيهة اجتمعوا عند السور مرة أخرى فأطلق عليهم رصاصتين فأصاب أحدهما وأخطأ الآخر ، وبينا هو في اضطراب وغضب إذا برجل يناديه من وراء ظهره : « من أنت يا رجل ؟ ! »

أجابه (هونغ سين) بدون تروّ ولا تردد : « من عساكر الخفية . »

ولما التفت إلى خلفه وجد بضعة عشر جندياً قد أتوا إلى النقطة التي يدافع عنها وحده فدلهم على اليابانيين تحت السور ، فأطلقوا عليهم وابلا من الرصاص فأصابوا شرذمة منهم وتوارى الباقون في حقول القمح بجانب السور ، ولما لم يحسوا بحركتهم ظنوا أنهم قد فروا من وجوههم ، فأخرجوا مطمئنين رءوسهم من خلال الشرفات ، وإنهم لكذلك إذا بنار تتلألأ أمامهم عن بعد ، وإذا بقنبلة طارت نحوهم فذهبت باحدى الشرفات وتطايرت شظايا القنبلة في كل صوب ، ومات عقب انفجارها أكثر المدافعين عن السور ؛ فانسحب الباقون إلى نقطة أخرى بعيدة عن مسقط القنبلة ثم جاءت قنبلة أخرى لم تصب شيئاً .

وبعد بضع دقائق اقترب بضعة عشر جندياً يابانياً من السور فأطلق عليهم وابل من الرصاص فاختفوا في حقول القمح

واستمروا على الكر والفر ، وبعد مدة مات المدافعون عن السور من قنابل المدافع ولم يبق منهم إلا جندي واحد مع (هونغ سين) الذي أصيب في ذراعه اليسرى فعصبها بمنديله .

انفجر الليل واجتمع الأعداء في شرق السور الشمالي وخف الضغط على نقطتهما فأخرج (هونغ سين) من جيبه علبة لفائف التبغ وقدمها إلى زميله الجندي قائلاً: «دخن لفافة»

ثم جلسا حلف شرفات السور ورأيا مئات من آثار قنابل المدافع على السور وقد اشتمل ضباب الصباح على وحشة واكتئاب

قال (هونغ سين): «لولا عرقلة اليابانيين لوصلت جيوشنا إلى مدينة (ديجو)»

وقال الجندي: «يسوءني جداً أنهم أهلكوا الليلة خلقاً كثيراً من إخواننا.» ثم امتص الدخان بقوة.

وعبر (هونغ سين) عن آماله قائلاً: «لعل عدد الباقين منا يكفي للدفاع عن المدينة يوماً آخر.»

فهز الجندي رأسه ثم أخرج من جيبه رغيفاً من الخبز وقال لزميله: «أتحب أن تتناول شيئاً من هذا؟» فهز (هونغ سين) رأسه وأخرج لفافة من لفائف التبغ ليسد بها جوعه

دار الجندي بعينيه حول وجه (هونغ سين) وأطرافه وهو يأكل من خبزه ثم قال: «يا أخي! إنك لا تشبه الجندي في الصورة.»

فسأله (هونغ سين) مبتسماً: «لا يهمني هل أشبه الجندي في الصورة أو لا أشبهه. قل لي هل أشبه الجندي في الدفاع؟»

قال الجندي معجباً به: «نعم. ما رأيت قط جندياً باسلاً داهية مثلك!»

ثم شبع الجندي فكثر حديثه فقال. «ألا إن المتطوعين في هذه المرة كثيرون، وكنا بعد ظهر أمس ندافع في جهة الجنوب فجاء طالب من طلبة المدارس ليساعدنا على الدفاع، وما كان أشجعه في القتال! لكنه وا أسفاه لم يكن يدري كيف يختفي وراء شرفات السور فأصيب بعد قليل بجرح.»

قال (هونغ سين): «أكان ذلك بعد ظهر أمس!»

«نعم.»

«كيف شكله؟»

«أقصر منك بقليل ويشبهك في السحنة غاية الشبه.»

قال ذلك وهو يديم النظر إلى عيني (هونغ سين)

فسقط على الأرض ما بقي في يد «هونغ سين» من لفافة التبغ

فسأل الجندي فزعاً: «هل يلبس الزي الأزرق الخاص بالطلبة؟»

«نعم.»

«أجرحه في خطر؟» قال هذا وهو فاغر فاه ينتظر جواب صاحبه الذي قال:

«جرح في ترقوته اليسرى، فإذا أتيح له من يسعفه أمكن أن يشفى؛ ولكن أنى يكون لنا فراغ لنعتني بجرحه؟ فتساقط المسكين على الأرض وجعل ينادي: «يا أماه!» فسأله على سبيل المزاح «يارجل! أفتريد أن ترضع أمك؟»

فنهض (هونغ سين) من فوره.

فقال له الجندي: «أتريد أن تعود إلى المنزل؟»

«لا. بل إلى جهة الجنوب.»

«لإسعاف الجرحى؟»

«لإسعاف شقيقي؟» ثم مشى نحو الجنوب.

فقال الجندي: «وا أسفاه!»

في هذه اللحظة نفسها اشتد هجوم الأعداء في شرق السور الشمالي وتوالت أصوات المدافع وتعالت معمعة المدافعين على السور وأصوات البكاء والعويل والصراخ داخل المدينة كأن الأعداء قد اقتربوا من جانب السور هناك.

فأدبر (هونغ سين) ودنا إلى شرقي السور الشمالي ساكتاً صامتاً يسمع الجندي يقول: «يا للخطر! إن عدد المدافعين هناك غير كاف، وإني لذاهب إلي مساعدتهم.»

رأى الجندي ينهض من مكانه فيضع على كتفه بندقيته ويمشي نحو الشرق الشمالي.

فناداه (هونغ سين): «انتظر!»

فأقبل الجندي ووجده واقفاً واجماً رانياً إلى شرقي السور الشمالي ولا يذهب إلى الجنوب.

فسأله الجندي: «مالك يا أخي؟»

فلم يجبه ببنت شفة وهو لا يزال واقفاً في مكانه شاخصاً ببصره.

قال الجندي: «أنا ذاهب»

«نذهب معاً»

فهز (هونغ سين) رأسه هزة ومسح بكمه مدامعه وأخذ يعدو مع الجندي نحو شرقي السور الشمالي الذي اشتدت عليه قنابل المدافع اليابانية.

محمد مكين الصيني
أحد أعضاء البعثة الصينية في الأزهر



حول العيد الألفي للأزهر

أذاعت الصحف أن مشيخة الجامع الأزهر تنوي أن تضع برنامجاً جديداً للاحتفاء بالعيد الألفي للأزهر، وأنها ستبدأ قريباً إتخاذ الخطوات العملية لإحياء هذه الذكرى الخالدة، وهذه أول مرة نسمع فيها مذ تقلد الشيخ الأكبر منصبه باهتمام المشيخة بعيد الأزهر؛ وقد كانت للمشيخة عناية خاصة بهذا العيد منذ أعوام، وكان لها برنامج حافل وضعته للاحتفاء بذكرى الألفية. وقد اتخذت بالفعل عدة خطوات عملية في هذا السبيل فانتدبت مختلف اللجان لوضع تاريخ الأزهر ولتنظيم الاحتفال، ودعوة مندوبي العالم الاسلامي، وغير ذلك مما يقتضيه إحياء هذه الذكرى الجليلة؛ ولكن هذه الاستعدادات وقفت فجأة منذ نحو عام ونصف، وقيل يومئذ إن الوقت لا يزال متسعاً فلا داعي للعجلة في هذا الاستعداد؛ وكان هذا القول غريباً في ذاته لأنه لم يبق بيننا وبين انقضاء الألف عام على قيام الأزهر سوى ثلاثة أعوام إذا اعتبرنا تاريخ البدء في إنشائه وهو جمادى الآخرة سنة ٣٥٩ هـ؛ وقد اعتادت الحكومات والهيئات العلمية أن تحسب حساب هذه الأعياد قبل وقوعها بأعوام طويلة، وأن تتخذ أهبتها في تؤدة وروية، وأن تعد كل شيء بنظام حسن؛ ونحن لا نلوم مشيخة الأزهر لأنها عدلت عن برنامج الاحتفال السابق ووضعت برنامجاً جديداً، لأن البرنامج القديم كانت تحدوه في الواقع بواعث واعتبارات خاصة، وكان واضعوه يتصرفون بروح ضيق، وكانت الفكرة كلها ينقصها الروح القومي والروح العلمي الصحيح؛ ولكننا نأخذ مشيخة الأزهر أنها تأخرت حتى اليوم في الاهتمام بموضوع لا يدانيه شأن آخر من شؤون الأزهر في أهميته وجلاله.

وثمة مسألة أخرى نريد أن نلفت إليها النظر، وهي أن الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر يجب أن يكون احتفالا قومياً بالمعنى الحقيقي، ويجب أن تشرف الحكومة المصرية على وضع برنامجه وعلى تنظيمه؛ ومن حق الأزهر أن يقوم في تنظيم هذا الاحتفال بأكبر قسط ولكنا لا نرى أن يستأثر بوضع البرامج ودعوة اللجان وغيرها؛ وإذاً فيجب أن تتولى تنظيم الاحتفال لجنة حكومية عليا يمثل فيها الأزهر والهيئات العلمية المختارة، وبعض الشخصيات البارزة، ويجب أن يشتمل برنامج الاحتفال على كل ما اصطلح العرف عليه في مثل هذه المناسبات. وفي وسع اللجنة الخاصة أن تستأنس بما تقوم به الهيئات العلمية الأجنبية في أعيادها الكبرى من المظاهرات العلمية والاجتماعية لاحياء هذه الذكريات.

(م)

كتاب جديد عن مصر

ظهر أخيراً كتاب جديد عن مصر باللغة الألمانية عنوانه «طريق مصر إلى الحرية» Aegyptens Weg zur Freiheit بقلم الكاتب الصحفي باول شمتس. والهر شمتس هو مكاتب جريدة «لايبزجر نويسته ناخرختن» في القاهرة، وقد عرف بعنايته بشئون مصر والشرق الأدنى، وتبدو هذه العناية في فصول ومباحث كثيرة ينشرها في الصحف الألمانية عن هذه الشئون. وكتابه عن مصر صغير لا يتجاوز المائة والعشرين صفحة، ولكنه يقدم للقارئ العادي كثيراً من الحقائق والمعلومات النافعة، وهو يصور لنا مصر منذ العهد المسيحي حتى قيام الحرب الكبرى تعيش على هامش التاريخ؛ وفي العصر الأخير تدب في مصر روح

الوطنية الملتهبة ، وتنهض مصر الفتاة لاسترداد حرياتها واستقلالها أولا من يد الترك ثم من يد الانكليز . ومصر اليوم من المراكز الحيوية في سير الشئون الدولية ، وفى تطورها ، ومصر همزة الوصل بين الشرق والغرب . على أن الهر شمتس لايقدم إلينا جديداً فى تصويره للشئون المصرية ، وكل ما هنالك هو أن هذا الكتيب الذى صدر بالألمانية فى وقت اتجهت فيه الأبصار إلى مصر يعاون على فهم الشئون المصرية فى ألمانيا وأوربا الوسطى .

تاريخ المقاهى

قرأنا فى إحدى المجلات الأوربية الكبرى بحثاً طريفاً فى تاريخ المقاهى ؛ خلاصته أن المقهى منشأة شرقية عرفت أولا فى الشرق . وفى أواسط القرن السادس عشر سافر إلى الشرق طبيب ألماني يدعى ليونارد راوفولف وزار الشام ، ورأى فى مدينة حلب أول مقهى وشرب فيه أول قدح من القهوة شربه في حياته ، وعاد إلى ألمانيا يصف المقهى والشراب الأسود الذى يشبه الحبر ؛ وكان المقهى فى تلك العصور لا يخرج عن مكان مفتوح يؤمه الناس ويشربون فيه القهوة جلوسا على الأرض ؛ وكانت القهوة قد عرفت فى البلاد العربية قبل ذلك بنحو مائة عام ، ولم يكن المقهى ذائعا إلا فى العواصم الكبرى ؛ وعرف الترك المقهى من العرب ، وظهر في قسطنطينية أول مقهى فى سنة ١٥٥٤ ؛ أما فى مصر فقد عرفت المقاهي قبل ذلك بنحو نصف قرن .

ومضى قرن آخر قبل أن ذاعت المقاهى في أوربا ؛ وفى سنة ١٦٤٥ ظهرت في البندقية أول دار من هذا النوع ؛ ثم ظهرت فى لندن وأكسفورد بعد ذلك بقليل ؛ وكانت القهوة فيها على الطريقة الشرقية . ولم تلبث المقاهى أن ذاعت فى انكلترا بسرعة . ولبثت المقاهي ممنوعة فى رومة حتى أوائل القرن الثامن عشر . وظهرت المقاهى في فرنسا فى أوائل القرن السابع عشر ، وافتتحت فى باريس سنة ١٦٨٩ دار أنيقة سميت قهوة بروكوب ؛ وكان الفيلسوف فولتير من روادها . فذاع من بعده ارتياد الأدباء للمقهى ؛ ولم يظهر المقهي فى برلين إلا فى أوائل القرن الثامن عشر .

وكان المقهي فى تلك العصور مركزاً للمقابلات والسمر ، ولم يعرف الموسيقى إلا فى أواسط القرن الثامن عشر ؛ إذ افتتح فى برلين أول مقهى موسيقى ؛ وكان هذا النوع من المقهى قد عرف قبل ذلك فى باريس ؛ وكانت الفرقة الموسيقية التى تختار للعزف فيه تؤلف عادة من بعض الموسيقين العميان ؛ وكانت المقاهي تسمى فى فينا بالمنتديات الفضية لأن الموائد والكراسى والمشاجب كانت من معدن يطلى بالفضة . وفى سنة ١٧٩٠ ظهر فى لندن مقهى من نوع خاص لا يدخله سوى السيدات ؛ ويتولى الخدمة فيه سيدات . كذلك ظهر فى لندن أول مقهى وضعت فيه مائدة البليارد ، وكانت عند ظهورها عجيبة من العجائب .

وتطورت المقاهى بعد ذلك ، وتفنن أصحابها فى تجميلها وتأثيثها وتزويدها بمختلف الملاهي من الموسيقى والغناء وورق اللعب والرقص وغيرها ، وبلغت ما بلغت فى عصرنا من الأناقة وحسن التنظيم ؛ وكثرة التنوع والافتنان فى كل ما يجلب المسرة والمتاع إلى نفوس الزائرين ، وأضحت منتديات للسمر والسياسة والأدب .

حرية الفكر فى مؤتمر القلم الدولى

قرأنا فى البريد الفرنسى الأخير أخبار مؤتمر القلم الدولى الذى عقد فى باريس فى أواخر شهر يونيه . وسبق أن أشارت اليه « الرسالة » وذكرت أن مصر ستمثل فيه على يد وفد من أعضاء نادى القلم المصرى برياسة الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب ؛ وقد شهد المؤتمر مندوبو خمسين دولة وتولى افتتاحه وزير المعارف ؛ وكانت أعظم ظاهرة فى جلساته ومناقشاته مسألة حرية الفكر التى أصبحت مهددة فى كثير من الدول والتى سحقت بالفعل فى بعض الدول التى تسودها النظم الطاغية . وألقى الكاتب الفرنسى الكبير جول رومان رئيس نادى القلم الدولى بهذه المناسبة خطاباً رناناً نوه فيه بقدسية الحرية الفكرية ؛ ومما قاله « إن للفكر قوانينه وأخلاقه وعاداته التى لا تستطيع أية حدود بل ولا يستطيع التاريخ أن يوقفها أو يلغيها ؛ فالفكر وحده هو الذى يضطلع بوضعها وصراعاتها ؛ وإذا تنزل الفكر إلى الدعوة إلى فضائل لا توجد ، أولا تستطيع الوجود إلا بملائه فهو يرتكب بذلك حماقة لا تغتفر ؛ وإذا كانت جمعية القلم لا دخل لها فى السياسة

فانا مع ذلك لا نستطيع أن نسترشد إلا بقيمة الفكر وحياته وحقوقه فى جميع أنحاء العالم ؛ ولن نستطيع أن نقبل أى حجة لتعطيل حرية الفكر وحقوقه ، ذلك أنا نعلم أن قبول غل واحد يصفدنا فيما بعد بأغلال لا نهاية لها » . هذا وسوف نتحدث فى فرصة أخرى عن قرارات هذا المؤتمر الأدبى الخطير .

الأزهر فى مؤتمر القوانين

عاد منذ أيام اثنان من أعضاء وفد الأزهر في مؤتمر القانون الدولى بعد الاشتراك فى دورة المؤتمر .

وقد بدأت هذه الدورة فى اليوم الرابع من هذا الشهر ، وكان اليوم الأول خاصاً بحفلة الافتتاح التى أقيمت تحت رعاية وزير العدل فى الحكومة الهولاندية واشترك فيها بعض أعضاء محكمة العدل الدولية فى لاهاي ؛ ثم دامت جلسات المؤتمر بعد ذلك من اليوم الثانى إلى أن كانت جلسة الختام فى اليوم الحادى عشر من الشهر .

وكانت مصر ممثلة فى المؤتمر من جهتين : الأزهر ، وممثلوه هم الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن والشيخ محمود شلتوت ومحمد عبد المنعم رياض بك والأستاذ حسن البغدادى ؛ والجامعة المصرية وكان يمثلها الدكتور عبد الرزاق السنهورى بك .

وقد كان الربح الأدبى والعلمى الذى وصل إليه الوفدان ربحاً عظيما إذ ألقى الدكتور السنهورى بك بحثه عن الجنسية فى اليوم الثالث للمؤتمر . وأعقبه بعد ذلك فى الأيام التالية الأستاذان الشيخ عبد الرحمن حسن والشيخ شلتوت فألقيا بحثيهما باللغة العربية للمرة الأولى فى دورات المؤتمر كلها . وكان البحث الأول خاصاً بالشريعة الاسلامية وعلاقتها بالقانون الرومانى ، والبحث الثانى خاصاً بالمسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الاسلامية .

وقد تناقش كثير من أعضاء المؤتمر عند تلاوة هذه البحوث وكان الأستاذ البغدادى يتولى الترجمة العربية والفرنسية والأسئلة وأجوبتها كما تولى ترجمة البحوث نفسها عند إلقائها .

ومن المظاهر المشرفة التى نالتها مصر فى هذه الدورة أن جلسة الختام التى تليت فيها قرارات المؤتمر النهائية . كانت خاصة برؤساء اللجان والمقررين ، فكانت الغالبية العظمى من الدول ممثلها فى هذه الجلسة ممثل واحد سوى مصر ، فقد حضر من وفديها فى هذه الجلسة اثنان هما فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن والأستاذ عبد المنعم رياض بك .

وكذلك كان من الربح العظيم الذى وصلت اليه مصر بواسطة الوفد الأزهرى أن قرر المؤتمر جعل اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية له . وقد قلنا إن بعض البحوث التى ألقيت فى هذه الدورة ألقيت فعلاً باللغة العربية . وكذلك قرر المؤتمر حسبان الشريعة الاسلامية مصدراً من مصادر التشريع الحديث .

وقرر المؤتمر فى ختام جلساته أن تعقد دورته القادمة فى سنة ١٩٤٢ فى مدينة لاهاي أيضا .

بعثة أزهرية جديدة باسم جلالة الملك فاروق

علمنا أن الرأى قد استقر على اختيار بعض العلماء المتازين أيضاً لتأليف بعثة جديدة يتلقى أعضاؤها فى جامعات أوربا من العلوم ، ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلوم الشرعية وذلك على النهج الذى اتبع فى تأليف بعثة « فؤاد الأول » الأزهرية

وسيطلق على هذه البعثة الجديدة اسم « بعثة فاروق الأول »

وتفكر إدارة المعاهد الدينية فى هذه الأيام فى تأليف بعثة أزهرية جديدة تؤلف من بعض العلماء الأزهريين المتازين الاكفاء لتوفدها إلى بعض القاطعات الإسلامية فى الهند ، للدعوة إلى الدين الإسلامى ونشر مبادئه بين طوائف المسلمين فى هذه القاطعات

اضطراب آخر فى شيوخ الازهر

اطلعت فى أثناء تحقيق للاضطراب الذى وقع فى رحلة الشيخ عبد الغنى النابلسى على اضطراب آخر فى كتاب « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر » للشيخ أمين المحبى بن فضل الله بن محب الله المولود بدمشق سنة ١٠٦١ هـ والتوفى بها سنة ١١١١ هـ فقد ذكر فى الكلام على الشيخ محمد بن حسن بن محمد بن أحمد جمال الدين بن بدر الدين المعروف بالمنير ما ذكره الجبرتى عنه ، وخلاصته أنه ولد بسمنود سنة ١٠٩٩ هـ . وقدم الجامع الأزهر وعمره عشرون سنة فدرس على كثير من شيوخه وبرع فى كثير من علومه خصوصاً علم الحديث ، وكان عالى السند فيه ، وكان يعرف أيضاً جملة من الفنون الغريبة كالزايرجة والأوفاق وغيرهما



سيرة السيد عمر مكرم

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

بقلم الأديب توفيق الطويل

بارح الجيش الفرنسي أرض مصر بعد أن عرف الشعب مكانة ظالميه عند دفع العاديات ، فرأى جيش السلطان لا يملك العودة إلى القاهرة إلا في ظلال أعوانه الانجليز ، ورأى المماليك يفرون إلى الشرق ويهربون إلى الغرب ويلتمسون صداقة الفرنسيين أو مرضاة العثمانيين أملا في العودة إلى حكم البلاد، فعرف الشعب من ذلك أن مصيره موكول إليه وأن اعتماده على غير نفسه غفلة وخداع لا ينبغي أن يطولا . وكان على يقين بأنه يستطيع أن يصمد للحرب الطاحنة وحده شهوراً وأياماً كما فعل في ثورته الثانية العنيفة على الجيش الفرنسي المنظم. وكان زعماء هذا الشعب الكريم تعوزهم التضحية وينقصهم الاخلاص، ينتفعون بتقلبهم مع الحكومات على حساب الوطن المسكين سوى رجل واحد جمع الزعامة والجهاد والتضحية . كان ينزوى حين لا تنفع المقاومة ، ويثور ثورة الأسد حين تمس الحاجة إلى الثورة والتمرد . . ذلك هو السيد عمر مكرم . . . فلما سمع صوت الشعب يدوى مطالباً بحكومة جديدة خرج من عزلته وتولى قيادته . واحتشدت جموع الشعب التي بلغت أربعين ألفا بجوار الأزهر على كثب من بيت القاضي الذى كان يجتمع فيه الزعماء لاختيار الوالى الجديد . وانعقد اجماعهم على قبول «محمد على باشا » والياً بعد أن رشحه الزعيم الأكبر «عمر مكرم» لما عرفوه عنه من الذكاء والعدل والشهامة والعطف على المصريين

وقد ذاع صيته في أواخر أمره وذهبت شهرته في الآفاق ، وأتته الهدايا من الروم والشام والعراق ، وكانت وفاته سنة ١١٩٩ هـ

وقد زاد المحبي على ما ذكره الجبرتي من ذلك أنه بلغ أمره أن صار شيخاً للأزهر ، وأن أول من انتزع مشيخة الأزهر من المالكية ، وكان رحمه الله شافعياً

فهذا اضطراب آخر في شيوخ الأزهر ، فالشيخ المنير غير معدود في هؤلاء الشيوخ ، وقد كان شيوخ الأزهر في عهده الشيخ عبد الباقي المالكي القليني ، فالشيخ محمد شنن المالكي ، فالشيخ عبد الله الشبراوى الشافعي ، فالشيخ محمد الحفني الشافعي، فالشيخ عبد الرؤوف السجيني، فالشيخ أحمد الدمنهوري ، فالشيخ أحمد العروسى ، وقد صار أولهم شيخاً للأزهر سنة ١١٢٠ هـ وصار آخرهم شيخاً له من سنة ١١٩٢ هـ إلى سنة ١٢٠٨ هـ

والشيخ عبد الله الشبراوى هو الذى ذكر صاحب تاريخ الأزهر أنه أول من تولى مشيخة الأزهر من الشافعية ، وقد صار شيخاً للأزهر من سنة ١١٣٧ هـ إلى سنة ١١٧١ هـ ، فكيف يكون الشيخ المنير شيخاً للازهر بين توالى أولئك الشيوخ ! وكيف يكون أول من انتزع مشيخة الأزهر من المالكية إلى الشافعية ؟

فالحق أن الشيخ المحبي أخطأ في هذا كما أخطأ قبله الشيخ عبد الغني النابلسي في الشيخ منصور المنوفي الشافعي ، وقد كانا شامين بعيدين عن الأزهر ورجاله ، ولا شك أن هذا يضعف من قيمة ماشذا فيه من ذلك .

ولو صح أن الشيخ منصور المنوفي كان شيخاً للأزهر كما ذكر الشيخ عبد الغني النابلسي لكان هو الذى انتزع مشيخة الأزهر من يد المالكية إلى الشافعية لا الشبراوى ولا المنير لأنه أقدم عهداً منهما كما سبق .

عبد المتعال الصعيدي

زاء الطغاة من حكامهم . . . وقبل الوالى الجديد ترشيحهم بعـد ردد . فقام إليه السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى وألبساه ـكرك والقفطان فى بيته وخلعا عليـه حكم البلاد باسم الشعب صري الكريم . وكان ذلك فى ١٣ مايو سنـة ١٨٠٥ ، فتميز وإلى القديم « خورشيد باشا » غضباً وقال: « ولانى السلطان فلن يزلنى الفلاحون » فلم يكن بدّ من أن ينزله هؤلاء الفلاحون بقوة من قصره بالقلعة . وبدأ الكفاح المجيد بين شعب يفدي اكمه الذى اختاره لنفسه بل يفدى حريته واستقلاله بالمهج والأرواح ، بين جيش يريد أن يحكمه على غير إرادته .. وكانت الثورة قائمة على بدأ أعلنه الزعيم الأعلى لرسول السلطان الذى احتج بقوله تعالى : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فأجابه الزعيم ن أولى الأمر هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل ، وأن سلطان أو الخليفة نفسه إذا سار فى الناس بالجور والظلم كان لهم زله وخلعه . . .

وأصاب الشعب النصر الحاسم داخل المدينة وخارجها . . . ارح البلاد خورشيد باشا بعد أن عرف بالتجربة أن إرادة الشعوب ، إرادة الله . . .

ولبث الشعب المجيد يعين حكومته الجديدة فى رد أعدائها ، مماليك وأتراك وإنجليز حتى نحاه عن ذلك « واليه » وصارح يمه بأن واجب الدفاع والاشتراك فى سياسة البلاد قد سقط ، الشعب بعد أن صارت قوة الدولة كفيلة به . . . ونهض الوالى لبلاد نهضة زاهرة شملت تجارتها وزراعتها وصناعتها وثقافتها ـكنها كانت بعيدة عن روح الشعب الذى أكره على الاعتزال تـكن ثمرة جهاده ولا نتيجة سعيه ولا وليدة ذهنه فذبلت اتت بموت موجدها . .

واعتزل الزعيم ، حتى إذا اشتط الوالى فى ضرائبه التى أكرهته ها كثرة إصلاحاته وحروبه خرج من مكمنه وأعلن مبدأه ى لا يقبل فيه شكا ولا جدلا : أن ليس للباشا أن يغير نظام ـكم ولا أن يفرض ما شاء من الضرائب ولا أن يحكم الشعب ر قانونه وعاداته . . ولكن الباشا عرف كيف يفرق بين الزعماء تفع بحقدهم على زعيمهم فيأمر بخلعه من نقابة الأشراف ونفيه بعيداً عن موطن الثورات . .

هذا موجز مشوه لسيرة البطل الذى تناوله الأستاذ الجليل محمد فريد أبو حديد فى كتابه القيم الممتع الذى أصدره فى هذين اليومين وأبان فيه نهاية الكفاح المجيد الذى كان الشعب المصرى قد بدأه منذ قرن ونيف من الزمان . . والكتاب آية أدبية جمعت ثلاثة عناصر قلّ أن تجتمع فى كتاب : دقة العلم ، وجمال الفن ، وحرارة الوطنية .

على أن فى الكتاب رأياً ترددت كثيراً فى التسليم به ، ذلك هو تحديده للوقت الذى تحرك فيـه الشعب المصرى للمحافظة على حقوقه وحرياته بعام ١١١٤ هـ إذ أن الحادثة التى أبدت هذا تتلخص في شكوى رفعها العلماء إلى الديوان فاستجيبت لعدالة الحاكم « الفعلى » يومذاك لا لحرص الشعب وزعمائه على حقوقهم ولا لخوف الحاكم من عنادهم . فأما عدالة الحاكم فيشهد بها قول الشيخ حسن الحجازى شاعر العصر رثيه :

ألا قل لمن فى موت حاكم مصرنا
غدا فرحاً لا عشت حلّ بك النقم

إلى أن قال :

فأرجح ميزاناً وأوفى مكايلاً ... وأخمد نيراناً وقام به سلم
وليس له من مبغض غير معرض ... عن الحق أو من فى عقيدته سقم

إلى آخر ما جاء فى الرثاء الذى أورده الجبرتى (١٠٧ و١٠٨ ج ١)

وأما الدليل على أن الشعب وزعماءه يومئذ لم يكونوا قد آمنوا بعد بالحرص على حرياتهم وحقوقهم فيشهد به مجيء فرمان من الدولة عام ١١٣٧ هـ يأمر بمنع العلماء من اجتماعهم بالباشا . وكان ذلك في وقت قد اشتد فيه الظلم ، وعانى الشعب ألواناً من التعدي على الحريات وانتهاك الحرمات ونهب الأموال ، فلم يقاوم الفرمان شعب ولا زعماء . ولما تكرر الظلم بعد هذا طالب الشعب العلماء بالذهاب إلى الباشا فاعتذر هؤلاء الزعماء بأنهم ممنوعون من طلوع القلعة ... ! (١٣١ ، ١٣٥ ج ١ من الجبرتى) فالشكوى وحدها ليست دليلاً على التحرك لدفع الظلم ، وإنما الدليل أن يقاوم المظلوم حتى ينتصف أو يستشهد .

والرأى عندي — إن صح أن يكون لى رأى إلى جانب رأى أستاذى المؤرخ — هو أن الشعب قد تحرك للمحافظة على حقوقه وحرياته في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر الميلادى (أواخر الثانى عشر الهجرى) إذ سمعنا فى هذه الفترة سلسلة من الحوادث تقوم على دفع الظلم ومقاومة أهله والاعتزاز بالحرية . ورأينا فيه كيف يهتم الحكام — أقوياء وضعفاء وعدول وظلمة — بالرأي العام وزعامته . وسمعنا بالحفنى وابن النقيب والصعيدى ، وعرفنا موقف العلماء فى فتنة الوقف ، بل أروع من هذا كله موقفهم فى فتنة الأزهر (٥٦ ج ٢ من الجبرتى) يوم رفضوا شيخ الأزهر الحنفى حين عينه شيخ البلد ولم ييأسوا بمنطقه يوم أصر قائلا لهم : أليس الحنفية مسلمين كالشافعية ؟ أليس مذهب النعمان أقدم المذاهب ؟ أليس القاضى حنفياً والوزير حنفياً والسلطان حنفياً . . . ؟ وانتهى إصرارهم بالانتصار الحاسم على أكبر رأس فى البلد .

ورأينا فى هذه الفترة العالم الذي يغضب على الحاكم فيقول له فى وجهه : لعنك الله ولعن اليسرجى الذى جاء بك ومن باعك ومن اشتراك ومن جعلك أميراً (١٩ ج ٢) ورأينا العالم الذى يقول للعامة وهى تستنصره لدفع الظلم الذى يوقعه الحكام بهم : « فى غد نجمع أهالي الحارات والأطراف وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما نهبوا بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم » فما جاء مساء ذلك اليوم حتى ذل له الحكام واستكانوا لعناده (١١٠ ج ٢ من الجبرتى)

تكرر هذه الحوادث وظهور المقاومة فيها جميعاً هو الشاهد العدل على تحرك الشعب لحقوقه فى هذه الفترة . . . أما مجرد الشكوى من الظلم فى فترات متقطعة ، والصبر عليه ، والعجز عن التمرد والسكوت عن كفاح المستبد حين يصر على استبداده فهو الدليل على أن الشعب لا يحرص على حقوقه ولا يتحرك للمحافظة على حرياته . . .

هذا هو الرأى الذى خطر لى عند قراءة هذا الكتاب القيم الذى كسبته القومية المصرية وربحه الناطقون بالضاد . . .

توفيق الطويل

يا ليل الصب ومعارضاتها

أعاد السيد محي الدين رضا طبع قصيدة « يا ليل الصب متى غده » لأبي الحسن الحصرى وهى تقع فى ٩٩ بيتاً ومعارضاتها قديماً وحديثاً وهي ٣٠ معارضة لأشهر الشعراء أمثال : شوقي وصبرى وولي الدين يكن والأمير نسيب والزهاوى والرافعي والزركلى ونظيم والمعلوف والخوري . وهى تقع فى ٥٤ صفحة من القطع الصغير طبعت على ورق جيد وثمن النسخة عشرة مليمات وتطلب من مكتبة خضير بالعتبة الخضراء بمصر وأجرة البريد خمسة مليمات

رحلتى إلى الحجاز

للأستاذ محي الدين رضا

هو مجموعة مقالات نشرها المؤلف فى مختلف الصحف المصرية عن رحلته إلى الحجاز ، وقد حوت وصفاً صحفياً طريفاً لكثير من نواحى الحياة فى هذا البلد الأمين وصوراً قلمية لكثير من شخصياته . والكتاب دعاية حسنة للحج وتشجيع على تأدية هذه الفريضة من فروض الدين .

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى عمارة عجم رقم ٧ }